الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للعلوم التربوية والاجتماعية

مجلة علمية دورية محكمة

العدد 2

ذو الحجة 1441هـ / يوليو 2020م

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

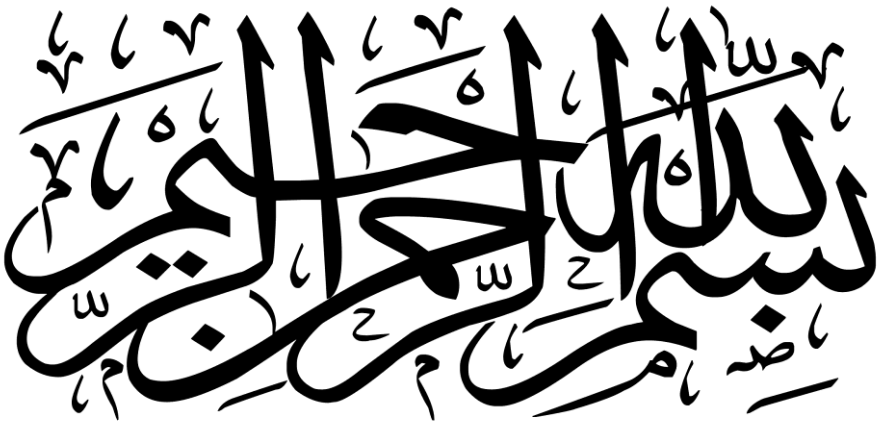
بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع: 1441/7131 وتاريخ ١٤٤١/٠٦/١٨

رقم ردمد: 1658-8509

النسخة الإلكترونية

رقم الإيداع: 1441/7129 وتاريخ ١٤٤١/٠٦/١٨

رقم ردمد: 1658/8495

الموقع الإلكتروني للمجلة

https://journals.iu.edu.sa/ESS

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

iujournal4@iu.edu.sa

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

أ.د. محمد بن يوسف عفيفي

أستاذ أصول التربية بالجامعة الإسلامية

(رئيس التحرير)

أ.د. عبدالرحمن بن علي الجهني

أستاذ أصول التربية بالجامعة الإسلامية

(مدير التحرير)

***

معالي الأستاذ الدكتور/ راتب بن سلامة السعود

وزير التعليم العالي الأردني سابقًا أستاذ السياسات والقيادة التربوية بالجامعة الأردنية

أ.د. إبراهيم عبدالرافع السمدوني

أستاذ أصول التربية بجامعة الأزهر

أ.د. بندر بن عبدالله الشريف

أستاذ علم النفس بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن يوسف شاهين

أستاذ المناهج وطرق التدريس بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن سليمان السلومي

أستاذ التاريخ الإسلامي بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن علي التمام

أستاذ الإدارة التربوية بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن إبراهيم الدغيري

أستاذ الجغرافيا الاقتصادية جامعة القصيم

د. رجاء بن عتيق المعيلي الحربي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك بالجامعة الإسلامية

***

سكرتير التحرير: مجتبى الصادق المنا

الهيئة الاستشارية

معالي الأستاذ الدكتور/ محمد بن عبدالله آل ناجي

مدير جامعة حفر الباطن

معالي الأستاذ الدكتور/ سعيد بن عمر آل عمر

مدير جامعة الحدود الشمالية

معالي الدكتور/ حسام بن عبدالوهاب زمان

رئيس هيئة تقويم التعليم والتدريب

الأستاذ الدكتور/ سليمان بن محمد البلوشي

عميد كلية التربية بجامعة السلطان قابوس

الأستاذ الدكتور/ خالد بن حامد الحازمي

أستاذ التربية الإسلامية بالجامعة الإسلامية

الأستاذ الدكتور/ سعيد بن فالح المغامسي

أستاذ الإدارة التربوية بالجامعة الإسلامية

الأستاذ الدكتور/ عبدالله بن ناصر الوليعي

أستاذ الجغرافيا بجامعة الملك سعود

قواعد وضوابط النشر في المجلة(*)

- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة المعرفية في التخصص.
- لم يسبق للباحث نشر بحثه.
- أن لا يكون مستلًّا من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.
- أن تراعى فيه منهج البحث العلمي وقواعده.
- ألا يتجاوز مجموع كلمات البحث (١٢,٠٠٠) كلمة بما في ذلك الملخصين العربي والإنجليزي، وقائمة المراجع.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- أسلوب التوثيق المعتمد في المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA) الإصدار السّادس، وفي الدراسات التاريخية نظام شيكاغو.
- أن يشتمل البحث على: صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، ومقدّمة، وصلب البحث، وخاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات، وثبت المصادر والمراجع، والملاحق اللازمة (إن وجدت).
- يلتزم الباحث بترجمة المصادر العربية إلى اللغة الإنجليزية.
- يرسل الباحث بحثه إلى المجلة إلكترونيًّا؛ بصيغة (word) وبصيغة (pdf)، ويرفق تعهّدًا خطّيًّا بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة https://journals.iu.edu.sa/ESS.

محتويات العدد

التربية الوقائية في التصدي للأزمات والكوارث والوباء في مؤسسات التعليم في ضوء التربية الإسلامية ٩

أ.د/ محمد بن شحات حسين الخطيب

درجة احتياج كليّة التربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة لتطوير أدائها في ضوء معايير المجلس الأمريكي CAEP ٨٣

د. عمر علي الرفايعه

واقع تطوير الكفايات المهنية لدى قادة المدارس الثانوية الحكومية بمدينة الرياض من وجهة نظرهم ١٣٥

د. نايف بن عماش السويلم العنزي

دور المناهج الدراسية بالمرحلة الثانوية في تعزيز مفهوم الوحدة الوطنية "دراسة تحليلية في ضوء وثيقة سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية" ١٩٥

د. عادل بن عايض بن عوض المغذوي

متطلبات تحقيق جودة تعليم القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس ٢٧٣

د. حسن محمد علي الزهراني

تصور مقترح لتطوير البيئة التعليمية في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية ٣٤٣

د. خالد هديبان الحربي

فعالية برنامج إرشادي لتحسين مستوى وعي الأمهات بالأساليب النفسية والتربوية لتحقيق الأمن الفكري لدى الأبناء ودوره على تنمية الحوار الأسري من وجهة نظر الآباء- الأبناء) في المملكة العربية السعودية ٤٠٣

د. رحمة بنت علي الغامدي

فاعلية برنامج تدريبي قائم على معايير الجودة في تنمية مهارات التدريس لدى معلمي العلوم الشرعية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى ٤٦٩

د. أحمد بن محمد بن أحمد شيخ

SECOND LANGUAGE ACQUISITION THROUGH THE FLIPPED LEARNING PARADIGM: A SYSTEMATIC LITERATURE REVIEW□ ٥٢٥

د.سلطان بن عبدالعزيز الملحس

سياسة السلطان الأشرف قايتباي في التعامل مع اللاجئين والمنفيين السياسيين والوفود السياسية في الفترة ٨٧٢-٩٠١ هـ/ ١٤٦٨-١٤٩٦ م ٥٥٩

د. عبدالعزيز بن فايز بن حسن القبلي

سياسة السلطان الأشرف قايتباي في التعامل مع اللاجئين والمنفيين السياسيين والوفود السياسية في الفترة ٨٧٢-٩٠١ هـ/ ١٤٦٨-١٤٩٦ م

The Policy of Sultan Al-Ashraf Qāytibāy in Dealing with Political Refugees and Exiles and Political Embassies in The Period of 872-901 H/ 1468-1496 A.D

د. عبدالعزيز بن فايز بن حسن القبلي

أستاذ التاريخ المساعد بكلية الآداب – جامعة الملك سعود

المستخلص

البحث دراسة تاريخية عن اللاجئين السياسيين والمنفيين والوفود السياسية التي قدمت إلى القاهرة في عهد السلطان قايتباي في الفترة من ٨٧٢ هـ إلى ٩٠١ هـ/ ١٤٦٨ إلى ١٤٩٦ م، وسياسية السلطان في التعامل مع تلك الفئات. كذلك المدلولات السياسية والدبلوماسية لتلك الفئات، وكيفية استفادة السلطنة المملوكية منها. أوضحت الدراسة دور السلطان قايتباي ورغبته في حفظ الأمن الداخلي والخارجي للسلطنة المملوكية، وتوطيد العلاقات الخارجية مع القوى المجاورة من خلال تعامله الناجح مع اللاجئين والسفارات الدبلوماسية. بينت الدراسة دور دبلوماسية السلطان قايتباي في حل الأزمات السياسية والعسكرية، والاستفادة ماليًّا ودبلوماسيًّا من سياسة الانفتاح السلمي مع القوى المجاورة. أخيرًا، أوضحت الدراسة سياسة السلطان قايتباي في التعامل مع تلك الفئات، ودورها في استكشاف كيفية حماية السلطة المملوكية من الأخطار الخارجية في أوقات الأزمات.

الكلمات المفتاحية: اللاجئون السياسيون، المنفيون السياسيون، الوفود السياسية، السلطان قايتباي، حسن الطويل، شاه سوار، سياسة الانفتاح، حل الأزمات، العلاقات السلمية والودية.

ABSTRACT

The research is historical study about the political refugees and exiles and political embassies, which they came to Cairo during the period of Sultan Al-Ashraf Qāytibāy (872-901 H/ 1468-1496 A.D), and policy of the sultan in dealing with these groups. Also, the political and diplomatic connotations of these groups, as well as how the Sultanate of Mamluk benefited from them. The study clarified the role of Sultan Qāytibāy and his desire to maintain the internal and external security of the Mamluk Sultanate, and to consolidate external relations with neighboring powers through his successful dealing of refugees and diplomatic embassies. The study demonstrated the role of Qāytibāy's diplomacy in resolving political and military crises, and financially and diplomatically benefiting from his policy of peaceful openness with neighboring powers. Finally, the study illustrates Qāytibāy's policy in dealing with these groups, and its role in exploring how to manage Mamluk authority from external dangers during times of crisis.

Key words: political refugees, political exiles, political embassies, Sultan Qāytibāy, Ḥasan al-Ṭawīl, Shāh Swār, opening policy, resolving crises, the peaceful and friendly relations.

أولا: مقدمة

(أ): تعريف بالموضوع:

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على سياسة السلطان قايتباي[١] في التعامل مع اللاجئين والمنفيين السياسيين، وكذلك الوفود السياسية التي قدمت إلى القاهرة في الفترة من ٩٧٢-٩٠١ هـ/ ١٤٦٩-١٤٩٦ م، وأثرها السياسي والدبلوماسي على السياسة المملوكية. تبحث الدراسة عن المدلولات السياسية لتعامل السلطة مع اللاجئين والوفود، وكيف أسهمت سياسة السلطان تجاههم في تحسن العلاقات السياسية والدبلوماسية سلبًا أو إيجابًا. دراسة السفارات واللاجئين السياسيين في فترة قايتباي، وسياسة السلطان في التعامل معهم سوف تستكشف كيفية إدارة السياسة الخارجية للسلطة في القاهرة، وأهم نقاط القوة والضعف في إدارة السلطان. شهدت فترة السلطان قايتباي قدوم العديد من اللاجئين السياسيين والمنفيين والسفارات السياسية من القوى المجاورة لأسباب ودوافع مختلفة.

(١) السلطان الأشرف قايتباي المحمودي، هو الخامس عشر من ملوك الجراكسة بمصر، أصله جركسي الجنس، جلبه إلى مصر الخواجا محمود عام ٨٣٩ هـ، فاشتراه الأشرف برسباي، استمر مملوكًا كتابيًّا في الطباق إلى أن أعتقه الظاهر جقمق، حيث صار جمدارًا ثم خاصيكًا ثم داوادارًا، وتولى إمرة عشرة في عهد الأشرف إينال عام ٨٦٢ هـ، ثم أمير طلبخانة في عهد الظاهر خشقدم، والأتابك في عهد السلطان تمربغا. تولى السلطنة في رجب من عام ٨٧٢ هـ بعد خلع الظاهر تمربغا. محمد بن أحمد ابن إياس الحنفي، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ج٣، ص٢-٥.

(ب) أهمية وأهداف الدراسة:

تهدف الدراسة أولًا إلى استعراض جميع حالات اللجوء السياسي والنفي لدى الأمراء، وكذلك الوفود السياسية التي قدمت إلى مصر في عهد السلطان قايتباي، ثم تتبع سياسة وإستراتيجية قايتباي الدبلوماسية في التعامل مع تلك الفئات المختلفة؛ لتوضيح عدد من النقاط المهمة. أولًا دور الدبلوماسية الناجحة التي اتبعها قايتباي، خصوصًا في التعامل مع الفئات المذكورة في إحلال السلام الخارجي مع القوى المجاورة والأمن داخل سلطنة المماليك في فترة كانت مليئة بالحروب الخارجية والفتن السياسية في بلاد الشام والعراق. تلك الدبلوماسية شملت حسن إكرام الوفود السياسية الخارجية في ظل الحروب مع تلك القوى، وعدم قطع العلاقات الدبلوماسية مع جميع القوى، والتحلي بمبدأ النفس الطويل، وترك دومًا مجال للحلول الدبلوماسية؛ لحل النزاعات الحدودية ولرأب الصدع، وإحلال السلام بعد موجة من الصراعات والتوترات العسكرية مع بعض القوى. ثانيًا: الاستفادة المالية والسياسية من اللاجئين السياسيين لدى مصر واستخدامهم كورقة ضغط ضد بعض القوى كالعثمانيين، وإمارة دلغار، وإمارة الآققونيلو التركمانية أوقات الصراع العسكري والسياسي مع مصر لتسوية الخلافات الحدودية أو إنهاء الحروب. ثالثًا: دور سياسة الانفتاح التي تميز بها عهد قايتباي، والتي تمخضت في استقبال المنفيين من الأمراء في الخارج والترحيب بعودتهم، وتوظيف خبراتهم، وجعلهم مستشارين وأعادتهم إلى مناصبهم السابقة. ستضيف الدراسة عددًا من العوامل والأسباب المهمة التي أسهمت في توطيد حكم سلطنة المماليك طيلة ما يقارب الثلاثين عامًا بفضل حكمة ودبلوماسية قايتباي. من جهة أخرى، ستكشف الدراسة كيفية إدارة قايتباي للسلطنة المملوكية من الداخل من خلال تحليل تعامله مع الفئات التي سنتطرق لها في الدراسة، والتي شملت اللاجئين والمنفيين السياسيين والوفود السياسية.

(ج) حدود الدراسة:

ركزت الدراسة على المناطق الجغرافية التابعة لسلطنة المماليك والقوى المجاورة لهم والتي شملت التالي: مصر، بلاد الشام، الحجاز، العراق، الجزيرة الفراتية، الأناضول، إستنابول. تلك المناطق الجغرافية اشتملت على العديد من المنفيين واللاجئيين السياسيين، وانطلاق العديد من الوفود السياسية إلى ومنها مصر.

(د): الدراسات السابقة:

اقتصرت الدراسات التي تناولت فترة السلطان قايتباي على ذكر اللاجئين والمنفيين السياسيين، وأهم السفارات السياسية، من دون ذكر تأثير تلك السفارات وانعكاساتها على السياسة المملوكية.[١] لاسيما الدور الدبلوماسي المهم الذي قام به قايتباي في التعامل مع تلك الفئات، وكيف استفاد سياسيًّا واقتصاديًّا، والذي دل على عبقرية السلطان قايتباي، واستفادته من تلك الفئات. ترجع أهمية اللاجئين والمنفيين والسفارات السياسية إلى الاضطرابات السياسية والعسكرية التي شهدتها بلاد

(١) والتي منها على سبيل المثال: إبراهيم علي طرخان، **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩م؛ عبدالرحمن محمود عبدالتواب، **قايتباي المحمودي**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م؛ سعيد عبدالفتاح عاشور، **العصر المماليكي في مصر والشام**، بيروت:دار النهضة العربية، ١٩٩٤م؛ قاسم عبده قاسم، **الأيوبيين والمماليك التاريخ السياسي والعسكري**، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٥م.

الشام في فترة الدراسة، والتي حتمت على قايتباي استخدام سياسة عقلانية؛ لتوطيد العلاقات الخارجية، وحل المشكلات العسكرية.(١)

(هـ): مباحث الدراسة:

تضمن البحث عددًا من المباحث وخاتمة، ثم قائمة بأهم المصادر. وقد عرضت الدراسة مجموعة من المحاور كالتالي: أولًا: سياسة السلطان قايتباي في التعامل مع المنفيين السياسيين من الأمراء المماليك وقدومهم إلى القاهرة. ثانيًا: سياسة السلطان قايتباي في التعامل مع اللاجئين السياسيين من الأشراف، التركمان، والعثمانيين. ثالثًا: سياسة السلطان قايتباي في التعامل مع الوفود والسفارات السياسية والدبلوماسية من قبل حسن الطويل في العراق، شاه سوار في الأبلستين، العثمانيين، ملوك الهند، ملوك الحبشة، مملكة بني الأحمر في غرناطة، وملوك الفرنج.

(ج) أهم المصادر:

اعتمد البحث على عدد من المصادر التاريخية المعاصرة لفترة السلطان قايتباي في القترة من ٨٧٢ إلى ٩٠١ هـ/ ١٤٦٨ إلى ١٤٩٦ م، والتي دونت الأحداث السياسية والاقتصادية والعسكرية في فترة الدراسة. أهم تلك المصادر، ابن إياس، بدائع الزهور توفي في ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٣ م، الحنفي، وكتابيه نيل الأمل والروض الباسم توفي عام ٩٢٠ هـ/ ١٥١٤ م، السخاوي، وكتابيه وجيز الكلام والذيل التام توفي ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٧ م، الصيرفي، إنباء الهصر بأبناء العصر توفي ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٥ م.

(١) عبدالتواب، **قايتباي المحمودي**، ص٩٧؛ Stanley Lane-Poole, ***A History of Egypt in the Middle Ages***, New York: Forgotten Books, 2014, p 614.

ثانيًا: تمهيد:

يقصد باللاجئين السياسيين فئة الأمراء والسياسيين والعسكريين من أصحاب المراتب العليا والمناصب الكبيرة في القوى المجاورة لسلطنة المماليك، والذين هربوا من بلدانهم لأسباب سياسية وشخصية؛ خوفًا على حياتهم الشخصية من القتل أو السجن، أو رغبة منهم في طلب دعم عسكري وسياسي ضد قادة بلدانهم والمناوئين لهم في السلطة. قدم عدد من اللاجئين السياسيين إلى مصر في عهد السلطان قايتباي من عدة جهات شملت الدولة العثمانية، إمارة دلغار التركمانية في بلاد الأناضول، إمارة الآققونيلو التركمانية في العراق والجزيرة الفراتية وبلاد ما وراء النهر، والحجاز.

الفئة الثانية التي تعرضت لها الدراسة هم المنفيون السياسيون، تمثلت هذه الفئة من أمراء مماليك أو موظفي السلطنة المملوكية من المدنيين الذين هربوا من مصر لأسباب سياسية أو مالية، أو دخولهم في صراعات ومنازعات مع سلاطين الدولة المملوكية في الفترة التي سبقت الدراسة، وتحديدًا في عهد السلطان خشقدم. عدد كبير من تلك الفئة هرب من مصر أو بلاد الشام و طلب اللجوء السياسي لدى العثمانيين، أو في البلدان الأوربية، أو في الإمارت التركمانية. الفترة اللاحقة من وفاة السلطان خشقدم عام ٨٧٢ هـ/ ١٤٦٨ م طلب العديد من المنفيين الإذن من السلطان قايتباي من أجل العودة إلى مصر، ومنحهم الأمان على حياتهم إما بطلب شخصي من قبلهم وإما بطلبهم شفاعة بعض الأمراء الكبار في القاهرة أو السلاطين العثمانيين.

الفئة الثالثة الوفود السياسية، هي السفارات السياسية والدبلوماسية التي أرسلت من قبل حكام القوى المجاورة للسلطنة المملوكية في عهد السلطان قايتباي. تلك الوفود السياسية حملت معها رسالة إلى السلطان قايتباي من قبل حكام تلك القوى التي تمثلت في العثمانيين، إمارة الآققونيلو التركمانية، إمارة دلغار، الهند، الحبشة، الأندلس، والمدن الإيطالية.

ثالثًا: سياسة السلطان قايتباي في التعامل مع المنفيين السياسيين:

(أ) قدامى المنفيين السياسيين من الأمراء المماليك:

ابتدأ السلطان قايتباي عهده عام ٨٧٢ هـ/ ١٤٦٨ م برغبة صادقة في إنهاء التوترات والاضطرابات السياسية، وبدأ عهدًا جديدًا، وحقبة مليئة بالسلام، والتعاون بين كبار الأمراء والفصائل السياسية؛[١] لذلك نجده بعد مبايعته مباشرة في رجب من عام ٨٧٢ هـ يأمر بإحضار المنفيين السياسيين من فصيل الأشرفية[٢] في القدس، وهم بيبرس خال الملك العزيز، جاني بك المشد، بيبرس الطويل. فأثار قرار السلطان

(١) عبدالتواب، **قايتباي المحمودي**، ص٩٧-٩٨؛ Lapidus, Ira, **Muslim Cities in the Later Middle Ages**, London: Cambridge University Press, 2009, p 12.

(٢) الأشرفية هم مماليك السلطان الأشرف برسباي الذي حكم في الفترة من ٨٢٥-٨٤١ هـ. عبدالباسط بن خليل بن شاهين الملطي الحنفي، **الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم**، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، صيدا: المكتبة العصرية، ٢٠١٤م، ج٣، ص٣٦٢، ج٣، ٣٦٢؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، القاهرة: المكتبة العربية للمعارف، ٢٠٠٨م، ج١٢، ص١٩٩.

باستدعاء كبار الأمراء من الأشرفية استياء منافسيهم من الأمراء الظاهرية[١] من فصيل السلطان، والذين أدركوا خطورة قدوم أمراء من فصيل قديم كالأشرفية ومزاحمتهم على مناصبهم في القاهرة. أقنع كبار الظاهرية السلطان بإلغاء أمر إحضار الأشرفية والتحفظ عليهم بالقدس؛ ما جعله يصدر أمرًا آخر بإعادة الأشرفية إلى القدس بعد ما كانوا في الطريق إلى القاهرة ووصلوا إلى قطيا.[٢] علق الحنفي على قرار السلطان بإرجاع الأشرفية إلى منفاهم مرة أخرى بأنه كان بعد، "الوفاء والعدل والإنصاف والتسوية «أي فترة بداية عهد السلطان قايتباي».. وعد ذلك من سيء التدبير، إذ كان الأولى ألا لا يفعل أولًا."[٣]

لعل رغبة السلطان ببدء صفحة جديدة مع جميع الأمراء من مختلف الفصائل جعله يبدأ في استدعاء كبار الأمراء المنفيين للاستفادة من خبراتهم، ودعم حكمه من دون التفكير في عواقب هذا القرار؛ لذلك نبه كبار الظاهرية السلطان على خطورة هذا القرار السياسي وتوابعه السياسية على العرش المملوكي، نظرًا للعداوة القديمة ما بين الأشرفية والظاهرية.[٤] أشار الحنفي إلى أن أمر إرجاع أمراء الأشرفية إلى منفاهم

(١) الظاهرية هم مماليك السلطان الظاهر جقمق الذي حكم في الفترة من ٨٤٢-٨٥٧هـ. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج١٥، ص٢٥٨-٢٥٩.

(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٥.

(٣) الحنفي، **الروض الباسم**، ج٣، ص٣٦٢.

(٤) Carl Petry, **Twilight of Majesty**: **The Reigns of the Mamluk Sultans Al-Ashraf Qaytbay and Qansuh Al-Ghawri in Egypt**. Seattle: University of Washington press, 1993, p 11-12.

في القدس كان بتدبير من بعض أمراء الظاهرية؛ ما أدى إلى استياء أمراء الأشرفية.(١) من جهة أخرى، نرى السلطان هنا يستمع إلى رأي مستشاريه من الظاهرية، ويبطل قرارًا سياسيًا قد خرج؛ لكي يُرضي مستشاريه وأمراءه، وهذا يفسر تحجيم قوة السلطان وقراراته وسطوته على أمرائه في بداية عهده.

كذلك أمر السلطان في عام ٨٧٢ هـ/ ١٤٦٨ م باستدعاء كبير أمراء الإينالية(٢) أزدمر الإبراهيمي الطويل الإينالي، والذي كان منفيًا في دمشق وعينه في منصب أمير مائة مقدم ألف.(٣) أمر السلطان بإحضار أزدمر إلى القاهرة كان له دوافع سياسية، أهمها كسب ود الفصيل في القاهرة، والذي كان من أهم وأقوى الفصائل في بداية عهد السلطان. أيضًا رغبة السلطان في عدم التصادم مبكرًا مع الإينالية، وتأجيل الصراع لاحقًا عندما يأمن نفسه، وتستقر دولته الجديدة؛ لذلك نرى السلطان يكرم كبار أمراء الفصيل، ويقربهم من مجلسه؛ لتفادي التصادم معهم. ويدل على هذا الرأي تعليق ابن إياس على قرار السلطان بإرجاع أزدمر وسياسة السلطان الانفتاحية معهم حيث، "صار يدارى الإينالية أي مداراة."(٤)

(١) عبدالباسط بن خليل بن شاهين الملطي الحنفي، **نيل الأمل بذيل الدول**، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، صيدا: المكتبة العصرية، ٢٠٠٢م، ج٦، ص٣١١؛ Petry, ***Twilight of Majesty***, p 21-22.

(٢) هم مماليك السلطان الأشرف أينال الذي حكم في الفترة من ٨٥٧-٨٦٥ هـ. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج١٦، ص٥٨.

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٨.

(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٨.

في شوال من عام ٨٧٢ هـــ/ أبريل ١٤٦٨ م استقبل السلطان قايتباي الأمير جاني بك حبيب، وكان قد هرب إلى بلاد الروم زمن الســلطان خشــقدم[١].[٢] كان جاني بك مقيمًا عند العثمانيين، وعندما علم بوفاة السلطان خشقدم، وتولي السلطان قايتباي قدم إلى القاهرة. استقبل السلطان الأمير المنفي بأفضل صورة وأكرمه كعادته، كذلك أرســل الأمير يشــبك[٣] الدوادار ألف دينار لجاني بك تحســينًا لأوضــاعه المعيشـية.[٤] أراد السـلطان بدء عهده الجديد بعفو وصـفح عن جميع الأمراء المنفيين؛ للاستفادة من خبراتهم واستشارتهم وقربهم منه في جميع النواحي. من جهة أخرى، أراد الســـلطان فتح باب القاهرة لجميع المنفيين في الخارج حتى يعودوا قبل أن تســـتغلهم القوى المنافسة للمماليك من العثمانيين وإمارات التركمان المجاورة لهؤلاء الأمراء.

(١) هو الملك الظاهر ابو سعيد سيف الدين خشقدم بن عبدالله الناصرى المؤيدي. هو السلطان الثامن والثلاثون من ملوك الترك والأول من الروم. تولى السلطنة عام ٨٦٥ هـ وتوفي في عام٨٧٢هـ . ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج١٦، ص٢٥٣-٢٥٤.

(٢) يروي الحنفي بأن جاني بك حبيب قدم من بلاد الروم في المغرب وكان متخفيًا بلبس الأروام (أي ملابس الروم) بعد أن مكث فترة نفية في تلك البلاد طيلة حكم السلطان خشقدم. الحنفي، **الروض الباسم**، ج٣، ص٣٩٣-٣٩٤.

(٣) يشبك من مهدي الظاهري جقمق. تولى منصب الدوادارية الكبرى في عهد السلطان قايتباي عام ٨٧٢ هـ وعول عليه في كل أمر، وصار هو المرجع في أمور الدولة. توجه على رأس حملة عسكرية إلى الرها عام ٨٨٥ هـــ وهزم من قبل جيش يعقوب بن حسن و قتل. شمس الدين محمد عبدالرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، عمان: وزارة الثقافة، ٢٠١٠م، ج١٠، ص٣٤١-٣٤٢.

(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١١-١٢.

أيضًا في محرم من عام ٨٧٣ هـ/ يوليو ١٤٦٨ م قدم إلى القاهرة الزيني عبدالرحمن بن الكويز، الذي شغل منصب ناظر الخاص في عهد السلطان خشقدم، وهرب في عهده إلى العثمانيين.(١) كان سبب هروب الزيني عبدالرحمن واختفائه في بلاد العثمانيين هو خوفه من السلطان خشقدم من أجل أن يبعد عن ظلمه وجوره وعسفه.(٢) استقبل السلطان الزيني عبدالرحمن وأكرمه كالعادة وبقي مقيمًا بالقاهرة.(٣) معاملة السلطان الجيدة واستقباله سابقًا لجاني بك الذي كان منفيًّا عند العثمانيين، شجع الزيني عبدالرحمن على القدوم على القاهرة. كثرة توافد كبار الأمراء الذين كانوا منفيين إلى الدول المجاورة دل على السياسة الإقصائية التي اتبعها السلطان السابق خشقدم ضد كبار الأمراء. وصف الحنفي بأن الزيني عبدالرحمن كان في بلاد العثمانيين متخفيًا من السلطان خشقدم؛ ما دل على خوفه من السلطان،(٤) و بين أيضًا تعامل خشقدم الإقصائي مع أمرائه. استفاد السلطان قايتباي من هؤلاء الأمراء، وخاصة الزيني عبدالرحمن؛ بسبب خبراته الإدارية والمالية في دواويين الدولة؛ لذلك أمر السلطان في رمضان من عام ٨٧٤ هـ/ مارس ١٤٧٠ م بتعيين الزيني عبدالرحمن في منصب الناظر الخاص مرة أخرى.(٥)

(١) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٦، ص٣٤٢.

(٢) علي بن داود الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢ م، ص١١؛ الحنفي، **الروض الباسم**، ج٤، ص١٧.

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٩؛ الحنفي، **الروض الباسم**، ج٤، ص١٧.

(٤) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٦، ص٣٤٢.

(٥) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٤٤؛ الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص١١-١٢.

رابعًا: سياسة السلطان قايتباي في التعامل مع اللاجئين السياسيين:

(أ) اللاجئون السياسيون من الأشراف:

قدم العديد من أشراف مكة والمدينة إلى القاهرة لاجئين سياسيين على السلطان قايتباي؛ نظرًا للصراعات والاضطرابات السياسية التي شهدتها الحجاز في فترة الدراسة. كان أول لاجئ سياسي من الأشراف هو الشريف على بن بركات[١] الحسنى[٢]، أخو الشريف محمد أمير مكة، والذي قدم إلى القاهرة في رمضان من عام ٨٧٢ هـ/ مارس ١٤٦٨ م.[٣] كان سبب خروج الشريف علي هو غضبه من أخيه محمد، ومنافسته على حكم مكة؛ لذلك رأى أن يلجأ إلى السلطان في القاهرة، لعله يدعم موقفه، ويسانده في صراعه مع أخيه.[٤] استغل الشريف محمد التغيير السياسي الذي وقع

(١) علي بن بركات بن حسن بن عجرن صاحب الحجاز، قدم إلى القاهرة عام ٨٧٢ هـ وتوفي رجب من عام ٨٩١ هـ. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٥، ص١٩٧.

(٢) وقع خلاف بين السيد علي بن بركات وبين أخيه محمد بن بركات شريف مكة في رجب من عام ٨٩٦ هـ فلجأ الأول إلى القاهرة، وطلب الدعم من السلطان قايتباي؛ ليستقوي به ضد أخيه، لكن السلطان لم يجبه على ذلك، وتركه في ضيافة الدوادار الكبير وقرر له مؤنته اليومية. شمس الدين محمد عبدالرحمن السخاوي، **الذيل التام على دول الإسلام للذهبي**، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م.، ج٢، ص٦٧٢.

(٣) الحنفي، **الروض الباسم**، ج٣، ص٣٩٠؛ البيومي إسماعيل الشربيني، "الوفود السياسية لمصر والشام إبان حكم سلاطين المماليك: ٦٤٨- ٩٣٢ هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧ م" جامعة المنصورة- كلية الآداب، عدد ٣٠، ٢٠٠٢، ص٥٢٦.

(٤) شمس الدين محمد عبدالرحمن السخاوي، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م، ج٣، ص٨٧٢؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١١.

بمصر عام ٨٧٢ هـ/ ١٤٦٨ م المتمثل في عزل أكثر من ثلاثة سلاطين، وتنصيب السلطان قايتباي حديثًا، آملًا أن يدعم السلطان الجديد موقفه.

أدرك الشريف محمد في مكة خطورة لجوء أخيه إلى السلطان، فبادر بإرسال سفيره محملًا رسالة إلى السلطان قايتباي، يلتمس منه أن يبقيه في إمرة مكة كما هو معتاد. وبعث أيضًا بستين ألف دينار إلى السلطان قايتباي، نظير دعمه في حكم مكة، واحتجاز أخيه علي في القاهرة من أجل تجنب الفتن في مكة.(١) استجاب السلطان لطلب الشريف محمد، وأمر ببقاء الشريف علي في القاهرة، وفي ذلك يقول ابن إياس، "فلما طلع إلى القلعة (الشريف علي) أكرمه السلطان وأخلع عليه، واستمر مقيمًا بمصر، ورتب له ما يكفيه إلى أن مات بعد مدة طويلة."(٢)

وفي موقف السلطان في التعامل مع لجوء الشريف علي إلى القاهرة لابد أن نقف على نقطتين مهمتين. أولًا: استفادة السلطان قايتباي ماليًا من المبلغ الذي أرسله الشريف محمد إليه، والذي بلغ ستين ألف دينار في وقت كانت خزينة الدولة مهددة بالإفلاس بسبب الاضطرابات السياسية، وتجهيز الجيش لإرسال حملة عسكرية للقضاء على تمرد شاه سوار(٣) في الشام. ثانيًا: معاملة الشريف محمد اللاجئ في القاهرة

(١) الحنفي، **الروض الباسم**، ج٣، ص٣٩٠.

(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١١؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص١٦٩.

(٣) سوار علي دولة: هو سوار بن سليمان بن ناصر الدين بك بن دلغادر التركماني، ويقال له شاه سوار نائب الأبلستين ومرعش. كان يغير على مناطق تابعة لولاية حلب، فأرسلت السلطنة المملوكية ضده عدة حملات، ولم تفلح في القبض عليه، وتمكن الدوادار الكبير يشبك من مهدي من أسره وقتله عام ٨٧٧ هـ. ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٢، ص٤٣٥، ج٣، ص١٤؛ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون، **مفاكهة**

معاملة راقية، وصرف له راتبًا وسكنًا إلى أن توفي في القاهرة، وهو في حياه كريمة. لعل السلطان أراد أن يستفيد من بقاء الشريف محمد لديه في القاهرة ورقة ضغط ضد أخيه علي في مكة، في حال نشـــوب اضـــطرابات أو فتن في مكة ليعين محمدًا بديلًا عن أخيه. أيضًـا أراد السـلطان ابتزاز الشـريف علي، والضـغط عليه لكيلا يتأخر عن دفع الخراج الســـنوي، ويلتزم بالدفع دون تأخير، ويبقى على الولاء للقاهرة طيلة حكمه؛ لذلك نرى أن السلطان في هذا الموقف استطاع إرضاء الطرفين محمد وعلي والاستفادة ماليًّا، والضـغط سـياسـيًّا على الشـريف علي بورقه أخيه محمد المقيم في القاهرة. دل ذلك على الحنطة الســـياســـية التي كان الســـلطان يتمتع بها، واســـتفادته من هذه الاضطرابات لمصلحته. ذكر الشربيني أن سياسة السلطان قايتباي في التعامل مع علي بن بركات والسـماح له بالبقاء في القاهرة كان في إطار حفاظ قايتباي على أمن مكة، وإعاقة بعض المنافسين على حكم مكة، وعدم منحهم فرصة العودة.(١)

وتختلف رواية الحنفي لهذه الواقعة عمَّا ذكره ابن إياس؛ حيث ذكر الحنفي أن السـلطان أكرم علي بن بركات وأسـكنه بدار في القاهرة، عندها أرسـل أخوه الشـريف محمد بن بركات إلى الســـلطان يطلب الموافقة على بقائه في إمرة مكة، ودفع له نظير ذلك ستين ألف دينار. وافق السلطان على هذا الطلب، وأمر علي بن بركات بالتوجه إلى مكة، والصـــلح مع أخيه محمد هناك، مع الحرص والوصـــية على حفظ حياة علي

الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٤ م، ج١، ص٣٢،١٩٤؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٢، ص٢٧٤.

(١) الشربيني، "الوفود السياسية لمصر والشام" ص٥٥٩.

بن بركات في مكة.[١] المهم لدينا تعامل السلطان الدبلوماسي مع الطرفين دون إغضاب أيٍّ منهما نظرًا لمكانتهما الاجتماعية و الدينية. أيضًا الاستفادة المالية و السياسية من هذه الخصومات لمصلحة الدولة والسلطان نفسه.

(ب) اللاجئون السياسيون من التركمان:

أدت الحروب والصراعات العسكرية بين السلطنة المملوكية وبين إمارات التركمان في بلاد الشام والعراق إلى حالات لجوء عدد من أمراء التركمان إلى السلطنة المملوكية. ففي رمضان من عام ٨٧٥ هـ/ فبراير ١٤٧١ م عندما كانت الحرب قائمة بين السلطنة المملوكية وإمارة دلغار، قدم إلى القاهرة أمير من أمراء شاه سوار طالبًا اللجوء السياسي في القاهرة. وافق السلطان على قدومه إلى القاهرة، وأكرمه وأمر بإسكانه في القاهرة. يروي الصيرفي بأن السلطان استفاد من لجوء هذا الأمير من خلال نقله لمعلومات استخباراتية عن حالة شاه سوار وأوضاع جيشه. ذكر الصيرفي أن الأمير التركماني "أخبر عن شاه سوار أنه في ذل وصغار وخزى وافتقار، وأن غالب من معه فر منه، ومن بقى منهم في أضيق العيش، وشدة الخوف وعدم الأمن على أنفسهم."[٢] وبذلك يتضح دور اللاجئين السياسيين في نقل أخبار دولهم مفصلة للسلطنة المملوكية، واستفادة السلطان من وفود هؤلاء الأمراء إليه. طمح السلطان قايتباي من خلال إكرام وفادة هؤلاء الأمراء اللاجئين، وفتح أبواب القاهرة لهم من الاستفادة العسكرية والاستخباراتية منهم، وكشف مواضع القوة والضعف في بلدانهم. ومن هنا

(١) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٦، ص٣٢١؛ نفسه، **الروض الباسم**، ج٣، ص٣٩٠.

(٢) الصيرفي، **إنباء الهصر بأبناء العصر**، ص٢٥٩.

يتضح أن جزءًا من إستراتيجية السلطان في استقبال وإكرام اللاجئين السياسيين كان استخباراتيًّا. أراد السلطان الاستفادة من هذه الأخبار لرفع الروح المعنوية بين قادة جيشه، وشد أزرهم في قتال شاه سوار، حتى وإن كانت أخبارًا غير صحيحة.

قدم عدد من اللاجئين السياسيين من إمارات التركمان في العراق وبلاد الأناضول إلى القاهرة لأغراض مختلفة. فقدمت زوجة حسن الطويل[١] إلى القاهرة في جمادى الآخرة من عام ٨٨٠ هـ/ أكتوبر ١٤٧٥ م مستجيرة بالسلطان قايتباي ليشفع لولدها محمد أغرلو عند أبيه حسن الطويل ويصلح بينهما.[٢] والسبب في ذلك الخلاف الحاصل بين محمد وأبيه حسن الطويل، والذي تطور إلى صراع مسلح بين الطرفين. أكرم السلطان كالعادة هذه الوفادة، وأمر بأن تنزل بدور الحريم في القلعة.[٣] يعد لجوء زوجة حسن الطويل للقاهرة أول لجوء من النساء في عهد السلطان قايتباي، وبالرغم من الصراعات السياسية والعسكرية بين السلطان قايتباي وحسن الطويل إلا أنه أكرم وفادة زوجته.

عندما كان السلطان في زيارة تفقدية لبلاد الشام، في شوال من عام ٨٨٢ هـ/ يناير ١٤٧٨ م، قدمت عليه زوجة محمد اغرلوا بن حسن الطويل ومعها ابنها حسين الذي يبلغ من العمر ثماني عشرة سنة. طلبت زوجة محمد اللجوء السياسي لابنها

(١) أوزون حسن بك بن علي بك بن قرا يلوك عثمان، صاحب ديار بكر، ووالد أبي المظفر يعقوب صاحب الشرق، ويعرف بالطويل. تولى حكم العراقين وكان حاكمًا لإمارة الآققونيلو التركمانية، وخاض حروبًا مع بني عثمان ومع السلطنة المملوكية. توفي عام ٨٨٢ هـ. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٣، ص١١٢-١١٣.

(٢) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص١٣٩؛ الشربيني، "الوفود السياسية لمصر والشام" ص٥٢٣،٥٢٧.

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١١٠.

حسين لدى السلطان في القاهرة خوفًا عليه من القتل من قبل أعمامه. وافق السلطان وأمر بأن يرافقه الصبي، واستمر حسين بمصر حتى وفاته مكرمًا و معززًا.(١) يروي الحنفي أن السلطان تعامل مع حسين بن محمد اغرلو بن حسن الطويل معاملة حسنة و "أجرى عليه ما يليق به، وقام على تربيته وتأديبه وتهذيبه، حتى صار من الفضلاء الأذكياء"،(٢) وأصبحت القاهرة في عهد السلطان قايتباي ملاذًا آمنًا للمضطهدين السياسيين، وفتحت أبوابها لهم جميعًا، ما دل على سياسة التسامح والسلام التي اتبعها قايتباي، كما أراد السلطان أيضًا أن يحتفظ ببعض الشخصيات المهمة من الدول المجاورة لاستخدامها لاحقًا ضد خصومه في تلك الجهات، وكذلك تعرف أحوال تلك البلاد. استفاد قايتباي من لجوء حسين محمد اغرلوا من خلال تجهيز حملة عسكرية موجهه ضد العثمانيين الذين طمعوا في مملكة حسن الطويل، وأسند قيادة الحملة إلى حسين، حيث لاحقًا أهمل تجهيز أمر الحملة.(٣) استفادة قايتباي من حسين الطويل دخل في إطار استغلال بعض اللاجئين للإطاحة ببعض أعداء السلطنة المملوكية وإشاعة الفرقة والفوضى في صفوفهم.(٤)

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٣٩؛ Petry, ***Twilight of Majesty***, p 73.

(٢) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٢٠١.

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٣٩، ٢٨٦.

(٤) الشربيني، "الوفود السياسية لمصر والشام" ص٥٨٤.

(ج) اللاجئون السياسيون من العثمانيين:

أول لاجئ سياسي من العثمانيين لدى السلطان قايتباي كان جمجمة بن محمد الفاتح[١]. قدم إلى القاهرة في شعبان من عام ٨٨٦ هـ/ سبتمر ١٤٨١ م بعد طلب الإذن من السلطان للقدوم على القاهرة، وهو مقيم مع الأمير أزبك بن ططخ[٢] في حلب فأذن السلطان له بالقدوم.[٣] وفي مراسم استقبال جمجمة بن محمد الفاتح في القاهرة يقول ابن إياس "وفي شعبان خرج الصاحب خشقدم الزمام إلى ملاقاة جمجمة بن عثمان، فمد له أسمطة حافلة ببلبيس والخانكة، ثم لاقته الأمراء المقدمون والعسكر، ورؤوس النوب والحجاب من المرج والزيات، فسار في موكب حافل حتى طلع إلى القلعة."[٤] أيضًا يروي الحنفي أن جمجمة بعد الانتهاء من مقابلة السلطان، وانتهاء مراسم الاستقبال "نزل في عظمة هائلة وأبهة إلى دار أعدت لسكناه، نعم الجوار، وكان

(١) هو الأمير محمد جم الشهير بجمجمة ابن السلطان محمد الفاتح أخو السلطان أبي يزيد. ابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ج١، ص٤٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٨٣.

(٢) أزبك من ططخ الأشرفي الظاهري جقمق. جلبه الخواجا ططخ من بلاد جركس، فاشتراه الأشرف برسباي عام ٨٤١ هـ ثم اشتراه الظاهر جقمق. تولى الأتابكية عام ٨٧٣ هـ في عصر السلطان قايتباي، توفي عام ٩٠٤ هـ. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٢، ص٢٧٠-٢٧٢.

(٣) اشترط السلطان قايتباي على جمجمة، من أجل الموافقة على قدومه إلى القاهرة والإقامه فيها أن يحضر مع عدد قليل من أتباعه وعسكره، وإلا فيمنع من الحضور إلى القاهرة. السبب في قدوم جمجمة إلى القاهرة كان بسبب الصراع السياسي والعسكري بينه وبين أخيه السلطان أبي يزيد بعد وفاة أبيهم السلطان محمد الفاتح. انتهت المواجهة العسكرية بين جمجمة وأخيه أبي يزيد بانهزام جمجمة وقدومه لاجئًا للسلطنة المملوكية. الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٢٩٢؛ طرخان، **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة**، ص١٦٦؛ البيومي إسماعيل الشربيني، "الوفود السياسية لمصر والشام"،٥٢٧.

(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٨٥.

له يوم مشهود."[١] كان استقبال السلطان لجمجمة استقبالًا كبيرًا حافلًا دل على أن الشخصية القادمة لها مكانة سياسية مهمة.[٢] يذكر أن جمجمة قدم مع والدته وأولاده، وكان سبب قدومه ولجوئه إلى القاهرة خوفًا على نفسه من القتل بعد وفاة والده السلطان محمد الفاتح[٣].[٤] على الرغم من العلاقة السياسية والدبلوماسية الجيدة بين المماليك والعثمانيين إلا أن السلطان فضل قبول اللجوء السياسي لجمجمة، على الرغم من صعوبة قبول هذا الطلب، والذي من الممكن أن يتسبب في استياء أخيه السلطان العثماني أبي يزيد.[٥]

ظل جمجمة طيلة مدة إقامته في القاهرة يتمتع بالرفاهية والتعامل الراقي له ولعائلته، حيث أكرمه السلطان قايتباي وجعله على قدم المساواة مع الأمراء في أغلب

(١) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٢٩٥.

(٢) أحمد بن يوسف القرماني، **أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ**، تحقيق: فهمي سعد، أحمد حطيط، القاهرة: علام الكتب، ١٩٩٢م، ص٣١١-٣١٢؛ ابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ج١، ص٢٦٢؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٢٩٥.

(٣) هو محمد بن مراد بك بن محمد بن أبي يزيد بن عثمان، ملك بلاد الروم. استقر في الحكم بعد أبيه، واقتفى أثره في المثابرة في جهاد الفرنج، واشتهر باحترامه العلماء وتقريبهم إليه والانتظام في لقائهم. توفي عام ٨٨٦ هـ. السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٣٥٠-٣٥١.

(٤)ابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ق١، ص٣٩؛ أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري ابن الحمصي، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، تحقيق: عبدالعزيز فياض حرفوش، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩م، ج١، ص١٧٢؛ السخاوي، **وجيز الكلام**، ج٣، ص٩٢٠؛ ابن إياس،**بدائع الزهور**، ج٣، ص١٨٥؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٢٩٢.

(٥) عبدالتواب، **قايتباي المحمودي**، ص١٦٧؛ William Muir, **The Mameluke; or, Slave dynasty of Egypt, 1260-1517, A. D**, London: Nabu Press, 2010, p 173.

المناسبات والاجتماعات، وأيضًا أمر بتجهيز جمجمة مع عائلته للحج في عام ٨٨٦ هـ/ يناير١٤٨٢ م.(١) بلغت قيمة تجهيز جمجمة مع عائلته عشرة آلاف أوقية، وفيه يروي الحنفي "وحج حجة مكوكبة هائلة لم يقع لغيره من بني عثمان على هذا الوجه."(٢) كان هذا وجهًا من وجوه ضيافة اللاجئين السياسيين، وحسن إكرامهم وضيافتهم في القاهرة من قبل السلطان قايتباي.

يدخل استقبال السلطان قايتباي جمجمة العثماني في إطار الاستفادة السياسية من اللاجئين السياسيين، من خلال نقل أخبار القوى المجاورة واستخدامهم عوامل ضغط وابتزاز أمام مناوئي السلطة المملوكية، والذي كان نظامًا اتبعه السلطان، ونرى السلطان قايتباي لاحقًا يدعو جمجمة في قبة الأمير يشبك في المطرية ويجتمع معه مع باقي الأمراء ويقدم لهم هدية، عبارة عن كاملية بصمور.(٣) دلت هذه المعاملة على الإكرام الزائد لهذا الضيف وتقديره؛ نظرًا لمكانته السياسية، وأهميته بالنسبة للسلطة. يأتي استقبال جمجمة في القاهرة في ظل التنافس المملوكي- العثماني في مد النفوذ والسيطرة على بلاد ديار بكر، وكسب ود الإمارات التركمانية فيما بينهم، حيث أخذ هذا الصراع منعطفًا كبيرًا في عام ٨٩٠ هـ ليتحول إلى حربًا طويلة بين المماليك والعثمانيين؛(٤) لذلك رغب قايتباي في الاحتفاظ بجمجمة في القاهرة كرهينة في حال

(١) الحمصي، **حوادث الزمان**، ج١، ص١٧٢؛ السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٣٥٣؛ عبدالتواب، **قايتباي المحمودي**، ص١٦٧؛ Lane-Poole, ***A History of Egypt***, p 620.

(٢) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٣٠٠.

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٨٧.

(٤) عاشور، **العصر المماليكي**، ص٢٧٠.

ازدادت التوترات مع العثمانيين يتم استخدامهم في الحرب ضدهم أو تسليمة إلى السلطان العثماني للتقرب إليه ودأب حدة الصراع بين الطرفين.(١)

في محرم من عام ٨٨٧ هـ/ فبراير ١٤٨٢ م، بعد عام من قدوم جمجمة، طلب من السلطان السماح له بالتوجه إلى بلاده؛ لمحاربة أخيه والاستيلاء على الحكم، اجتمع السلطان مع كبار أمرائه للتشاور في طلب جمجمة، وانتهى الأمر بالموافقة على طلب جمجمة(٢) على كره من السلطان.(٣) ذكر ابن إياس بأن السلطان "قد أذن له بالسفر إلى بلاده على كره منه، وكان ذاك عين الخطأ."(٤) ندم السلطان على السماح لجمجمة بالعودة إلى دياره، بسبب هزيمته من أخيه، وفراره من أرض المعركة، وأسره لاحقًا من قبل الفرنجة في البحر والاستيلاء على جميع أمواله وممتلكاته التي أخذها من مصر.(٥) من جهة أخرى، ذكر ابن طولون أن السلطان قايتباي قد أمر بتجهيز جمجمة عسكريًّا، ودعمه ماليًّا من أجل استيلائه على الحكم من أخيه، وفيه يروي "ثم جهزه السلطان وأيده بأمور على أخيه على أن يأخذ الملك منه."(٦) وعلى الأرجح

(١) البيومي إسماعيل الشربيني، "الوفود السياسية لمصر والشام"،٥٢٧.

(٢) وافق السلطان قايتباي على طلب جمجمة الذهاب إلى بلاده مرة أخرى من أجل محاربة أخيه. أيضًا أعطى السلطان جمجمة دعمًا عسكريًّا وماليًّا ممثلًا في الأموال والخيول. السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٣٥٣.

(٣) السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٣٥٣؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٣٠٩؛ Muir, ***The Mameluke***, p 173؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص٢٧٠.

(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٩٢.

(٥) السخاوي، **وجيز الكلام**، ج٣، ص٩٢٩؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٩٥-١٩٦؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٣٠٩.

(٦) ابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ق١، ص٤٢.

بأن رواية ابن أياس والسخاوي هي الأصح والدليل أن السلطان تراجع عن قرار إرساله لحرب أخيه، وأصدر أمرًا بعد تجهيزه بأن يمنع من الخروج من حلب، ولكن قد وصل الأمر بعد خروج جمجمة من حلب.(١)

أصدر السلطان أوامره إلى نواب بلاد الشام بأن يتجهزوا، و يمنعوا جمجمة من القدوم إلى السلطنة المملوكية بعد هزيمته من أخيه أبي يزيد خوفًا من دخول العثمانيين حدود السلطنة المملوكية بحثًا عنه.(٢) وفيه علق السخاوي على قرار السلطان بالسماح لجمجمة من العودة إلى بلاده وتجهيزه بأنه "كان الأجمل والأكمل والأنفع تركه عنده كما فعل في السيد علي بن بركات صاحب الحجاز."(٣) لعل سياسة السلطان ودبلوماسيته في التعامل مع جمجمة، والسماح له بالرجوع إلى بلاده من دون استعداد أو قدرة عسكرية على مواجهة أخيه كان عين الخطأ لسببين الأول: خسارة لاجيء سياسي مهم من الممكن أن يستخدم ورقة ضغط ضد السلطان العثماني في حال تدهور العلاقات. الثاني: كسب عداوة السلطان العثماني الذي سيعتقد بأن قايتباي دعم أخاه ضده للاستيلاء على الحكم، عامدًا إلى التدخل في الشؤون الداخلية في الدولة العثمانية.

في شعبان من عام ٨٩٠ هـ/ أغسطس ١٤٨٥ م قدم إلى القاهرة مجموعة من الأمراء والجنود العثمانيين يبلغون الخمسين، وكانوا فارين من الجيش العثماني. يذكر أن

(١) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٣١٩-٣٢٠.

(٢) ابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ق١، ص٤٢؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٣١٩.

(٣) السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٦٧٢.

عام ٨٩٠ هـ/ ١٤٨٦ م شهد حروبًا ضارية بين العثمانيين والمماليك، ونجح العثمانيون في التوغل في الأراضي المملوكية. رحب السلطان بهؤلاء الفارين وأكرمهم.(١) ذكر العثمانيون اللاجئون في القاهرة أن السلطان العثماني ابي يزيد يخطط لغزو السلطنة المملوكية، وعين الأمير قراكز باشا قائدًا للجيش العثماني المتجه نحو حلب.(٢) استفاد السلطان من هؤلا الفارين واللاجئين السياسيين لمعرفة أخبار تحركات الجيش العثماني وخططه نحو السلطنة المملوكية. أيضًا يبدو أن السلطان أراد إكرام هؤلاء اللاجئين من أجل تحفيز باقي أمراء العثمانيين وأعيانهم الغاضبين من سياسة أبي يزيد للانسحاب من جيشه والقدوم إلى القاهرة.

يذكر الحنفي أنه في شوال من عام ٨٩٤ هـ/ أغسطس ١٤٨٩ م قدم إلى القاهرة أمير عثماني ادعى بأنه أخو السلطان أبي يزيد، ولكنه نشأ وتربى ببلاد التتار. شك جماعة من أمراء المماليك في القاهرة في أمره وصدق كلامه، و ثبت لاحقًا أن نسبه إلى السلطان العثماني غير صحيح. مع ذلك أكرم السلطان وفادته وأحسن إليه، ورتب له ما يكفيه.(٣) يتبين من هذا النص أن السلطان قايتباي حرص حرصًا كبيرًا على استضافة جميع اللاجئين السياسيين من الدول المجاورة، خصوصًا الأمراء منهم و إكرامهم و تقريبهم من مجلسه. أدرك السلطان القيمة السياسية والعسكرية التي يمتلكها

(١) يذكر أيضًا أن السلطان قايتباي استقبل في القاهرة أميرًا عثمانيًا اسمه أبردي أقطاش قدم من بلاد قرمان لاجئًا إلى القاهرة في صفر من عام ٨٩١ هـ. أكرم السلطان وفادته وأمر بمنحه أقطاعًا كباقي الأمراء مصدر رزق له. الحنفي، **نيل الأمل**، ج٨، ص١٥؛ Lane-Poole, ***A History of Egypt***, p 619.

(٢) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٤٢٤-٤٢٥.

(٣) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٨، ص١٦٠.

هؤلاء الأمراء، وفائدتها للدولة المملوكية استخباراتيًّا، خصوصًا في ظل تصاعد قوى الدول المجاورة، مثل العثمانيين، والإمارات التركمانية في العراق والجزيرة الفراتية، وبلاد ماوراء النهر.

اللاجئ السياسي الثالث إلى القاهرة من قبل العثمانيين كان شاه بضاغ بن ذلغار الذي قدم على القاهرة في محرم من عام ٨٩٥ هـ/ نوفمبر ١٤٨٩ م.[١] كان شاه بضاغ حاكمًا للأبلستين من قبل السلطان العثماني، ولكنه اختلف معه لدرجة أن السلطان هم أن يقتله؛ لذلك هرب شاه بضاغ والتجأ إلى السلطان قايتباي، لكي ينجو من قبضة السلطان العثماني. أمر السلطان بإكرامه، و ذكر ابن إياس في تعامل السلطان مع شاه بضاغ، "فلما حضر أكرمه وأخلع عليه، ثم بعد مدة بعثه إلى أسيوط يقيم بها، وأجرى عليه مايكفيه، فعد ذلك من جمله سعد السلطان، وكانت من النوادر."[٢]

اختار شاه بضاغ الالتجاء والهروب إلى القاهرة لمعرفته المسبقة بالعداء بين السلطان قايتباي وبين السلطان العثماني، وإمكان قبوله وإكرامه في القاهرة. من جهة أخرى، موافقة السلطان على إكرام شاه بضاغ كان بسبب ما يملكه من أسرار عسكرية وسياسية عن السلطان العثماني بحكم قربه منه، و إمكان الاستفادة منه في التعامل مع السلطان العثماني. أراد السلطان قايتباي فتح أبواب القاهرة لجميع الأمراء

(١)الحمصي، **حوادث الزمان**، ج١، ص٢٢١؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٨، ص١٧٢؛ البيومي إسماعيل الشربيني، "الوفود السياسية لمصر والشام" ص٥٢٣.

(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٢٦٨.

الهاربين من بلدانهم في محاولة منه لاستخدامهم لاحقًا ضد دولهم، والاستفادة استخباريًّا من معلوماتهم ضد تلك الدول. لعل الوقت الحرج الذي قدم فيه شاه بضاغ، والذي كمن في اشتداد الحرب بين المماليك والعثمانيين أسهم في إكرام وفادته في القاهرة.

خامسًا: الوفود السياسية:

(أ) الوفود السياسية من إمارة الآققونيلو التركمانية:

كانت أولى الوفود السياسية التي قدمت إلى القاهرة بعد تنصيب السلطان قايتباي في السلطة، وفد من قبل حسن الطويل، حاكم العراق في محرم من عام ٨٧٣ هـ/ يوليو ١٤٦٨ م.(١) قدم قاصد حسن الطويل يحمل رسالة منه بتهنئة السلطان بتولي السلطنة في القاهرة، ومعه كذلك هدية بهذه المناسبة.(٢) تضمنت سفارة حسن الطويل كذلك تأكيد طاعته لسلطان مصر، وأنه من جملة مماليك السلطان، وفي خدمة السلطنة المملوكية، من أجل أن يتقرب إلى السلطان ويطيب الخواطر بين مصر والعراق.(٣) وبذلك يعد حسن الطويل هو أول من أرسل وفدًا سياسيًا لتوطيد العلاقة السياسية بين الجانبين وتهنئة السلطان. هذا الوفد مثل حسن نية وبادرة طيبة من قبل حسن الطويل في بداية عهد قايتباي. أيضًا كان لهيبة السلطان وقوته وبداية عهده بإرسال حملات عسكرية إلى الشام دور في رغبة حسن الطويل في تجنب عداوة السلطان في ذلك الوقت. يذكر أن حسن الطويل بعد إرسال قاصده إلى السلطان قايتباي أرسل حملة عسكرية في ربيع الأول من عام ٨٧٣ هـ/ سبتمبر ١٤٦٩ م للاستيلاء على عدة مدن من العراق، ومن هنا يتضح دور هذه السفارة، وأنها كانت

(١) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٦، ص٣٤٢.

(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١١؛ طرخان، **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة**، ص١٣٥.

(٣) الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص١٢؛ الحنفي، **الروض الباسم**، ج٤، ص١٨؛ Petry, ***Twilight of Majesty***, p 44.

مبادرة بحسن النية من قبله تجاه السلطة المملوكية، وأن المقصود بتلك الحملات المجاورين لمملكة حسن الطويل وليس السلطان نفسه. لم يكترث السلطان قايتباي لسفارة حسن الطويل، وبدأ يأخذ حذره منه.(١)

حرص السلطان قايتباي على إظهار عظمة وقوة مصر السياسية والمالية أمام الوفد السياسي القادم من العراق في تلك الزيارة، وذلك من خلال إبقاء السفير عدة أيام في مصر واصطحابه في رحلات السلطان. اصطحب السلطان سفير حسن الطويل معه في رحلته إلى جهة الخانكة، وأمضى هناك يومين امتازا بمظاهر الترف في المأكولات وتنصيب خيام كثيرة. أيضًا حرص السلطان على اصطحاب عدد كبير من أمرائه في تلك الرحلة.(٢) ذكر الحنفي في وصفه لرحلة السلطان إلى جهة الخانكة "فنزل (السلطان) هناك بخيام نصبت بالكثرة، وعملت له أسمطة هائلة، وبقي بها يومين وليلتين. وكان معه قاصد حسن الطويل...، وعاد إلى القاهرة بعد ضيافات حافلة أقيمت هناك."(٣) رأى سفير حسن الطويل في زيارته لمصر التنظيم العسكري اللائق والعظمة الكبيرة لدى السلطان قايتباي وأنواع الأطعمة المختلفة والفخامة في الملبس والمأكل.(٤) أراد السلطان إظهار قوة مصر أمام سفير حسن الطويل لمعرفته المسبقة بأن هذا السفير سينقل أخبار مصر والسلطة المملوكية إلى حسن الطويل. أيضًا رغب السلطان في استفتاح عهده بمظاهر القوة والشموخ أمام حكام الدول

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٢٤؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص٢٦٥.

(٢) الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص١٩-٢٠؛ Petry, ***Twilight of Majesty***, p 154.

(٣) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٦، ص٣٤٧.

(٤) الحنفي، **الروض الباسم**، ج٤، ص٢٧.

المجاورة؛ لإعادة هيبة مصر والسلطة من جديد، خصوصًا في ظل توتر الأوضاع العسكرية والسياسية في بلاد الشام بفعل تمردات شاه سوار.

السفارة الثانية من قبل حسن الطويل إلى مصر كانت في رجب من عام ٨٧٣ هـ/ يناير ١٤٦٩ م، والتي حملت رسالة من الطويل تتضمن المدن التي ضمها في العراق ومفاتيح الحصون والقلاع التي استولى عليها من جهان شاه بن قرا يوسف في أذربيجان و تبريز، حيث زعم أن هذه المدن تابعة لحكم مصر.(١) أيضًا طلب الطويل من السلطان أن يعينه نائبًا على تلك الجهات. ذكر الحنفي أن حسن الطويل أظهر الكثير من التواضع في مكاتبته التي أرسلها مع سفيره، والتي تضمنت أن كل البلاد التي فتحت في العراق إنما هي زيادة في بلاد السلطة المملوكية في القاهرة. كان رد السلطان قايتباي دبلوماسيًّا فبعث مع سفير حسن الطويل تقليدًا بأن يكون نائبًا عن تلك البلاد وألف وخمسمائة دينار و هدايا أخرى.(٢)

من جهة أخرى، شكك ابن إياس في نوايا حسن الطويل حين قال إن الطويل "يتملق للسلطان بأن كل ما ملكه من البلاد هو زيادة في ممالك السلطان.....وكان هذا من حسن الطويل عين الخداع."(٣) أيضًا انتقد الحنفي طريقة تعامل السلطان وأمرائه وانخداعهم بسفارات حسن الطويل وكلامه المنمق، وفيه يروي "فاغتر هؤلاء

(١) تضمنت السفارة التي بعث بها حسن الطويل إلى السلطان قايتباي عددًا من الهدايا تمثلت في خمسة جمال جياد ومملوكين من الجركس. الحنفي، **الروض الباسم**، ج٤، ص٦٢؛ Lane-Poole, ***A History of Egypt***, p 619.

(٢) الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص٥١-٥٢؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٦، ص٣٦٠.

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٢٧.

بذلك، حتى كان هو السبب الأعظم في طمعهم بعد ذلك في مملكة حسن."[١] وفيه قصد الحنفي إلى أن السلطان وأمراءه اغتروا بقوتهم وهوان أمر حسن الطويل وقوته؛ فاهملوا أمره وكان هذا الأمر ليس في محله، حيث أظهر حسن الطويل وخلفاؤه متاعب عسكرية واقتصادية لاحقًا ضد السلطنة المملوكية. أكرم السلطان سفير الطويل وبالغ في إكرامه طيلة مدة مكوثة بالقاهرة. ذكر الصيرفي أن السلطان قايتباي استضاف سفير حسن الطويل و"خلع عليه كاملية بمقلب سمور وفوقانيا بطراز زركش عريض...وأنعم عليه بألف وخمسمائة دينار وأشياء غير ذلك."[٢] وعند وداع السفير، وقبل رحيله من القاهرة قابل السلطان وجرت بينهما محادثة طويلة عبر فيها السلطان عن حبه وتقديره لحسن الطويل، وأنه يعده عضده في الشرق.[٣] أيضًا قام يشبك الدوادار باستضافة السفير، وأرسل إليه بخمسمائة دينار ومجموعة من السلاح والخيول.[٤] لاشك أن السلطان أدرك نوايا الطويل العدائية، وأن هذه المراسلات لم تكن إلا مراوغات سياسية من قبله، وكسبًا للوقت لكي يتقوى أكثر في تلك النواحي، ويغير على بلاد الشام. ذكر موري بأن السلطنة المملوكية كانت تخشى صعود قوة حسن الطويل ونجاحه في عملياته العسكرية في الشرق، وكذلك مراوغته في إرسال الوفود السياسية تظاهرًا بخضوعه على سلطان مصر.[٥]

(١) الحنفي، **الروض الباسم**، ج٤، ص٦٢.

(٢) الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص٥٢.

(٣) الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص٥٢.

(٤) الحنفي، **الروض الباسم**، ج٤، ص٦٣؛ الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص٥٢.

(٥) Muir, ***The Mameluke***, p 172.

ردة فعل السلطان لهذه السفارة لم تكن عدائية، وإنما تصرف كما تقتضيه الأعراف، وهو إكرام السفير وتبادل الهدايا رغبة منه في تهدئة الأوضاع في بلاد الشام. من جهة أخرى، أراد السلطان الابتعاد عن مناوشة الطويل في تلك الفترة بسبب انشغاله في الحملات العسكرية ضد إمارة دلغار، ولم يرد أن يفتح أكثر من جبهة عسكرية عليه.

السفارة الثالثة من قبل حسن الطويل كانت في ذي القعدة من عام ٨٧٣ هـ/ مايو ١٤٦٩ م حين أرسل مع سفيره رأس أبي سعيد ملك سمرقند، والذي قتل في حربه مع حسن الطويل.(١) أمر السلطان بدفن رأس أبي سعيد، ورفض تعليقها والتشهير بها إكرامًا للميت أبي سعيد. وصف الحنفي موقف السلطان قايتباي عندما استقبل سفير حسن الطويل، ورأى رأس أبي سعيد أنه على الفور "أمر بدفنها بعد أن صرح بحضور القاصد ألا تشهر ولا تعلق، وأظهر أن ذلك إجلالًا له؛ لأنه من كبار ملوك الإسلام،"(٢) خشي السلطان قايتباي من سطوة حسن الطويل، وتزايد قوته وعظمته، والرسالة المبطنة من وراء إرساله لرأس أبي سعيد فرفض إهانة الرأس وأمر بدفنها رافضًا فكرة حسن الطويل التشهير بها.(٣) أيضًا لم تكن هناك عداوة بين أبي سعيد والسلطنة المملوكية لكي يبعث برأسه إلى القاهرة. كان ردة فعل السلطان

(١) الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص٧٤-٧٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٣٤.

(٢) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٦، ص٣٨٥؛ عبدالتواب، **قايتباي المحمودي**، ص١٦٠.

(٣) أدرك السلطان بأن الغرض من سفارة حسن الطويل وإرسالة برأس أبي سعيد إلى القاهرة بأنه تهديد مبطن للسلطان وإظهار لقوة حسن الطويل. بمعنى أن لم تكونوا معي أفعل بكم كما فعلت بأبي سعيد. الحنفي، **الروض الباسم**، ج٤، ص٩٣.

قايتباي دبلوماسية حيث أكرم السفير، ولكنه أيضًا أكرم رأس أبي سعيد؛ لكيلا يظهر في القاهرة مظهر من مظاهر قوة حسن الطويل، ويحجم من انتصاره بصورة مبطنة.

بعد أن أمر السلطان بدفن رأس أبي سعيد، قرأ رسالة حسن الطويل، والتي كانت مكتوبة بالفارسية. تضمنت الرسالة لغة تهديد ووعيد لمخالفي حسن الطويل، ذكر الحنفي أن هذه الرسالة "كانت أول مباينات حسن لهذه المملكة ظاهرًا."(١) وفي هذا النص دليل على أن سفارات حسن الطويل السابقة لم تكن تمثل نية الطويل الصادقة تجاه السلطة المملوكية، ورغبته في الاستيلاء على المدن المملوكية في بلاد الشام.(٢) حرص السلطان في هذه السفارة على إظهار قوة السلطنة المملوكية، واستعرض كبار الأمراء والجنود، وأقام مراسم ومواكب السلاطين أمام سفير حسن الطويل لإيصال رساله إليه تظهر قوة السلطان، وتماسك الدولة من الداخل.(٣) و دليل ذلك بأن السلطان عندما قدم سفير حسن الطويل إلى القاهرة كان في رحلة خارج القاهرة، وعند عودته إلى القاهرة أمر بأن يتقدم سفير حسن و ينتظره بالخانقاة الأشرفية

(١) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٦، ص٣٨٥.

(٢) Muir, ***The Mameluke***, p 171.

(٣) لم تكن هذه المرة الأولى التي يظهر فيها السلطان استعدادات الدولة وقوتها في حضور السفراء لنقل هذه الأخبار إلى حكامهم. في ربيع الآخر من عام ٨٧٧ هـ حضر سفير من قبل ملك الفرنج البنادقة وأكرم السلطان وفادته وقبل الهدية. بعد مضي أكثر من يوم أمر السلطان باجتماع الأمراء والمماليك والقيام باستعراض الفرسان والتدريب على الرمح، وطلب أن يحضر سفير ملك البنادقة إلى الاستعراض، ذكر الحنفي بأن السفير تعجب من هذه المهارات والاستعدادات العسكرية. الحنفي، **نيل الأمل**، ج٦، ص٣٨٥، ج٧، ص٤٧.

البرسبائية حتى يراه السفير، وهو داخلٌ للقاهرة. كان قصد السلطان أن يراه السفير ويظهر قوة السلطنة وعساكرها والتنظيم العسكري وفخامة الموكب.(١)

لم يتوقف حسن الطويل من بعث السفارات لتوطيد العلاقة مع السلطة المملوكية؛ فقد أرسل السفارة الرابعة في محرم من عام ٨٧٥ هـ/ يونيو ١٤٧١ م وكانت سفارته تتضمن أخبار حروبه في العراق، وتمكنه من قتل أعداد كبيرة من جيش تمرلنك(٢)، وسيطر على أراضيهم.(٣) كانت أخبار انتصارات حسن الطويل، والغرض من سفاراته إلى السلطان قايتباي أخافت السلطان والسلطة المملوكية منه؛ حيث ذكر الحنفي أن هذه السفارات من قبل الطويل لم تكن إلا "شيطنة منه، وإخافة لهذه المملكة على ما هو ظاهر."(٤) وكعادة السلطان استقبل الرسالة والأخبار بكل ترحيب وأرسل هدية إلى حسن الطويل.(٥) تضمنت معظم سفارات حسن الطويل إلى القاهرة رسائل حول قوته وانتصاراته في تلك المناطق إظهارًا منه لمنعته وتمدده في تلك المناطق. ومن تلك السفارات يتبين أن حسن الطويل أراد أن يكسب ود السلطنة المملوكية، ومن جهة أخرى، يختبر رد فعل السلطان المملوكي على صدى تمدده وسيطرته على

(١) الصيرفي، **إنباء الهصر بأبناء العصر**، ص٧٦-٧٧؛ الحنفي، **الروض الباسم**، ج٤، ص٩٣-٩٤.

(٢) تمرلنك بن طرغاي الحفظاي الأعرج، أمتد نفوذه على خراسان وأذربيجان وفارس وأصفهان، توفي عام ٨٠٤ هـ. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٣، ص٤٦.

(٣) الصيرفي، **إنباء الهصر بأبناء العصر**، ص١٩٨-١٩٩؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٥٢؛ طرخان، **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة**، ص١٣٧.

(٤) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٣، ص٤٢٦.

(٥) الصيرفي، **إنباء الهصر في ابناء العصر**، ص٤٢٨؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٥٣.

تلك المناطق. ظلت سياسة السلطان الدبلوماسية في التعامل مع الوفود السياسية تتسم بالتنوع مع الذكاء في التعامل رغبة منه في تهدئة الأوضاع.

ثم سفارة جديدة إلى القاهرة في ذي القعدة ٨٧٦ هـ/ أبريل ١٤٧٢ م، لكنها في هذه المرة كانت سرية لم تذكر المصادر تفاصيل عن ماهيتها وأسبابها، غير أن السفير حمل معه هدية إلى السلطان من قبل الطويل؛ وبالتالي أمر السلطان بإكرامه مدة إقامته في القاهرة.(١) كانت هذه السفارة في ظل الأوضاع العسكرية الحرجة بين السلطة المملوكية وحسن الطويل والحروب القائمة بينهما في بلاد الشام. موقف السلطان مع سفير حسن الطويل في هذه السفارة اختلف مع سفير شاه سوار من قبل، والذي رفض مقابلته، أو قبول الهدية منه بسبب حالة الحرب بين الطرفين. يبدو أن السلطان أدرك خطر حسن الطويل مقارنة بشاه سوار؛ لذلك فضل ألا يغامر عسكريًّا كثيرًا في مواجهة حسن الطويل ومحاولة حل الخلافات والتوترات بينهما سياسيًا. تبادل الهدايا بين الطرفين وإكرام سفير حسن الطويل كان دليلًا على رغبة قايتباي في الجناح إلى الحل السلمي. من جهة أخرى، تسببت سفارة حسن الطويل في إثارة استغراب العامة، وكثر القيل والقال بسبب حضور سفير حسن الطويل في ظل التوترات والحروب بين الطرفين.(٢)

توقفت السفارات بين حسن الطويل وبين السلطان قايتباي مدة تقارب ثلاث سنوات بسبب التوترات السياسية والعسكرية بين الطرفين في بلاد الشام، حيث بدأ

(١) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٣٣.

(٢) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٣٣.

حسن الطويل في الهجوم العسكري على الأطراف الشمالية لحلب، ورد السلطان ببعث حملات عسكرية نجحت في ردعه عن الشام. أرسل حسن الطويل بسفارة إلى السلطان في محرم من عام ٨٧٩ هـ/ مايو ١٤٧٤ م بعد هدوء التوترات بين الطرفين. تضمنت السفارة الاعتذار عما بدر منه تجاه بلاد الشام، وبين أن هذه التحركات من قبله لم تكن باختياره. احتوت الرسالة على سبعة عشر سطرًا مكتوبة بالفارسية وتحت كل سطر منها ترجمته إلى العربية.(١) أكرم السلطان السفير، وعفا عما بدر من حسن الطويل ومنعه من تقبيل الأرض عند رؤيته؛ لكونه من الأشراف ومن أهل العلم.(٢)

رد فعل السلطان كان دبلوماسيًّا على الرغم من معرفته المسبقة بعدم صدق نيه الطويل في الصلح، ولكن رغبة السلطان في المراوغة، واستخدام أسلوب النفس الطويل مع حسن الطويل لم تجعله يتعجل ويتهور في قطع العلاقات واختيار الحرب بدلًا من السلام. ربما أراد السلطان كسب مزيد من الوقت لتجهيز الجيش وإعداده، وانتعاش الخزينة بعد فترة من الحروب مع التركمان استنزفت الخزينة. من جهة أخرى، لم يشكل حسن الطويل خطرًا حقيقيًّا على بلاد الشام بسبب بعد العراق وضعف إمكانات الطويل عسكريًّا لضم حلب. العامل الأخير، كان الأخبار التي وصلت إلى السلطان من انتصارات جيش العثمانيين على حسن الطويل، وبداية تدهور قوته؛ لذلك فضل السلطان استخدام الجانب السلمي والدبلوماسي من خلال إكرام سفير الطويل من أجل حل الأزمة بين الطرفين.

(١) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٩٨؛ طرخان، **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة**، ص١٣٧.

(٢) الصيرفي، **إنباء الهصر بأبناء العصر**، ص٢٠٢؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٩٥-٩٦.

قدم في شوال من عام ٨٧٩ هـ/ فبراير ١٤٧٥ م سفير من قبل محمد بن حسن الطويل المقيم في حلب. يذكر أن محمدًا بن حسن قد عصى أباه، وتمرد عليه ولجأ مع مجموعة من أمراء أبيه إلى حلب مناوئًا لأبيه. اشتملت السفارة على حسن نيته، وإبداء موالاته للسلطان المملوكي. أيضًا طلب من السلطان السماح له بأن يرسل أهله إلى ملطية "ويكون مشمولًا بنظر السلطان."[١] وافق السلطان على طلب محمد بن حسن، وأكرم قاصده، وتبين للسلطان صدق الخلاف ما بين محمد وأبيه حسن.[٢]

وفي شوال من عام ٨٨٦ هـ/ نوفمبر ١٤٨١ م[٣] أرسل يعقوب بن حسن الطويل سفارة إلى قايتباي تتضمن اعتذاره عما وقع من باينذر حاكم الرها، والذي قتل الأمير يشبك من مهدي.[٤] ذكر يعقوب بأن قتل يشبك لم يكن بعلمه ولا مشورته، وإنما كان تصرفًا فرديًا من قبل واليه على الرها من دون أخذ الإذن منه. أيضًا تعهد يعقوب بإرجاع جميع الجنود والأمراء المماليك الذين أسروا في المعركة مع جميع أسلحتهم ومتاعهم.[٥] كان ردة فعل السلطان غاضبة على كتاب يعقوب، وعتب السلطان على قتلهم للأمير يشبك بهذه السرعة، ولكنه في نهاية المطاف أكرم السفير

(١) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص١٢١.

(٢) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص١٢١.

(٣) أرسل حسن الطويل سفارة إلى السلطان قايتباي في القاهرة في ربيع الآخر من عام ٨٨٠ هـ اشتملت على إظهار حسن نيته للدولة المملوكية. تعامل السلطان بكل احترام مع السفير وأرسل جوابه إلى حسن الطويل برغبته في إحلال السلام بين الدولتين. الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص١٣٧.

(٤)ابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ق١، ص١٦؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٢٩٨؛ السخاوي، **وجيز الكلام**، ج٣، ص٩٢٢.

(٥) السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٣٤٥؛ طرخان، **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة**، ص١٤٠.

وأسكنه في القاهرة عدة أيام، وأذن له بالرجوع إلى بلاده لاحقًا.(١) كانت هذه السفارة فريدة من نوعها، حيث شملت اعتذارًا، وطلب عفو بعد علاقة عدائية بين السلطان قايتباي وإمارة الطويل بالعراق. عملت هذه السفارة ودور السلطان في حسن استقبال السفارة على تهدئة الأوضاع بين الدولتين، ودلت على رغبة السلطان في إحلال السلام والأمن مع الدول المجاورة كالعادة.

أرسل يعقوب بن حسن الطويل أيضًا سفارة ثانية في جمادى الآخرة من عام ٨٨٨ هـ/ يوليو ١٤٨٣ م من أجل الاعتذار عما بدر منه تجاه السلطنة المملوكية، حيث أشيعت بعض الأخبار عن نيته مهاجمة أملاك السلطنة المملوكية. تضمنت السفارة طلب الصفح وإعادة علاقة الود والصداقة بين البلدين. قبل السلطان قايتباي هذه السفارة، ومكث السفير ومعه خمسون رجلًا في القاهرة أيامًا مكرمًا معززًا إلى أن عاد إلى بلاده.(٢) أيضًا في شوال من عام ٨٩٢ هـ/ سبتمبر ١٤٨٧ م عندما بدأت الحرب المملوكية العثمانية في بلاد الشام، أرسل يعقوب بن حسن الطويل سفارة إلى القاهرة. شمل مضمون الرسالة طلبه من السلطان قايتباي المبادرة إلى السلم مع العثمانيين، و إنهاء الصراعات العسكرية بين الطرفين. استقبل السلطان السفير بحفاوة وتكريم، واشترط على العثمانيين أن يسلموا البلاد التي أخذوها عنوة، وهي أدنة، طرطوس، وبعدها يبعث سلطان مصر رسالة للصلح بينهم.(٣) دلت هذه السفارة على

(١) السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٣٤٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٨٩.

(٢) السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٣٦٤-٣٦٥؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ٣٥١-٣٥٢.

(٣) ابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ق١، ص٦٨.

جهود يعقوب بن حسن الطويل في الصلح بين القوى الإسلامية في المنطقة، ودور السفارات الدبلوماسية في محاولة تخفيف التوترات السياسية والعسكرية، وتقريب وجهات النظر بين الأطراف المتنازعة. من جهة أخرى أراد السلطان برده على سفارة يعقوب الطويل إظهار قوة مصر، ورفضها إنهاء الحرب وطلب السلم من دون استرجاع ممتلكاتها؛ لكيلا تطمع فيهم القوى الأخرى.

آخر سفارة من قبل إمارة حسن الطويل في العراق كانت في ربيع الآخر من عام ٩٠٠هـ/ ديسمبر ١٤٩٤ م، أرسلها رستم بن حسن الطويل. تضمنت السفارة إظهارًا للصداقة والعلاقة الودية بين الدولتين بمناسبة تولي رستم حكم العراق بعد وفاة أخيه يعقوب. وكدليل على حسن النية والمبادرة السلمية من قبل رستم وصف نفسه بأنه مملوك لسلطان مصر وحليف له. وكعادة السلطان أكرم السفير وأنزله بدار كبيرة، واصطحبه لاحقًا إلى عدة مناسبات واستعراضات عسكرية لرؤية عسكر مصر. يروي الحمصي أن سفير رستم الطويل بعد قدومه إلى القاهرة "مدت له ضيافة بالميدان، وحضرت مماليك السلطان، ورموا النشاب على الخيول، وهم واقفون على السروج، وأروه لعب الرمح والنشاب، حتى اندهش."[١] دلت هذه السفارة على عدم تغير مراسم استقبال السفراء وعلاقة السلطان الودية مع القوى الخارجية طيلة مدة عهده ورغبته الدائمة في إحلال السلام من خلال اتباع سياسة تدعيم العلاقة الودية عبر السفراء والدبلوماسية بين الدول.[٢] وفيه يذكر طرخان أنه منذ السفارة الأخيرة من

(١) الحمصي، **حوادث الزمان**، ج١، ص٢٦٩.

(٢) عبدالتواب، **قايتباي المحمودي**، ص١٣٨.

قبل يعقوب بن حسن الطويل توطدت العلاقات بين الدولتين، واستمرت العلاقات الودية والصداقة إلى سقوط دولة الشاه البيضاء[١]؛ مما دل على صدى وانعكاس سياسة السلطان قايتباي الدبلوماسية مع القوى المجاورة، وتوظيف هذه العلاقات لتوطيد حكمه، وتأمين مملكته من الحروب و الاضطرابات.

(ب) الوفود السياسية من قبل إمارة دلغار:

أول سفارة أرسلت من قبل شاه سوار إلى القاهرة كانت في جمادى الآخرة من عام ٨٧٣ هـ/ ديسمبر ١٤٦٨ م في ظل توتر العلاقات بين السلطة المملوكية وإمارة دلغار بعد تمرد شاه سوار على السلطة وانتصاره على الجيش المملوكي.[٢] أرسل شاه سوار سفيره إلى السلطان من أجل الصلح فيما بينهما. أدرك شاه سوار خطورة استمرار تمرده ضد السلطة، ومعرفته المسبقة بقوة الجيش المملوكي؛ لذلك حرص على إنهاء الحلول العسكرية، واستخدام الحل السياسي والدبلوماسي مع السلطة في القاهرة. ردة فعل السلطان كانت سلبية عندما علم بوصول سفير شاه سوار، حيث رفض استقباله وأمر بإعادته من حيث قدم.[٣] كانت ردة فعل السلطان ناتجة من غضبه من شاه سوار، الذي تمرد عليه، وتسبب في مقتل العديد من كبار الأمراء؛ حيث أدرك السلطان أن الحل مع سوار لن يكون إلا بالحسم العسكري.

(١) طرخان، **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة**، ص١٤٠.

(٢) طرخان، **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة**، ص١٢٧.

(٣) الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص٤٧؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٦، ص٣٥٨.

بدأ السلطان قايتباي عهده بإرسال حملات عسكرية ضد إمارة دلغار في بلاد الشام من أجل تأمين الحدود الشمالية للسلطة المملوكية والقضاء على تمرد سوار. أرسل السلطان حملتين عسكريتين في عامي ٨٧٢ و ٨٧٣ هـ/ ١٤٦٨ و ١٤٦٩ م منيتا بالهزيمة من قبل سوار. وفي بادرة غريبة من شاه سوار، أرسل السفارة الثانية من قبله إلى السلطان في شوال من عام ٨٧٤ هـ/ أبريل ١٤٧٠ م في ظل التوترات السياسية والعسكرية بين الطرفين. كان الغرض من هذه السفارة طلب الصلح مع السلطة المملوكية لإنهاء الحروب بين الطرفين. حمل السفير معه طلبًا من شاه سوار لتعيينه بإمرة الأبلستين و منصب مقدم ألف في حلب، مقابل أن يسلم شاه سوار عينتاب للسلطة المملوكية.(١) عند قدوم السفير رفض السلطان مقابلته، ورفض أن يقبل الهدايا المقدمة من شاه سوار، والتي اشتملت على جمال وبعض المماليك، وأمر أن تؤخذ منه الرسالة، وتقرأ عليه.(٢) بعد قراءة الرسالة، أمر السلطان بمقابلة السفير، و دار بينهما كلام ومناقشة طويلة انتهت برفض الطلب.(٣) يروي الحنفي أن سفير شاه سوار كان فصيحًا وذكيًا وعلى معرفة بالكلام و مخاطبة السلاطين.(٤) يلاحظ هنا أن هذه السفارة كانت الثانية التي يجري التعامل معها تعاملًا غير ودي في عهد قايتباي؛ نظرًا للظروف التي عاشتها السلطة مع تمرد سوار. ثانيًا: تسبب شاه سوار

(١) الصيرفي، **إنباء الهصر بأبناء العصر**، ص١٦٣-١٦٤؛ الحنفي، **الروض الباسم**، ج٤، ص٢٠٧؛ Petry, ***Twilight of Majesty***, p 113.

(٢) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٦، ص٤١٢.

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٤٤؛ الحنفي، **الروض الباسم**، ج٤، ص٢٠٧.

(٤) الحنفي، **الروض الباسم**، ج٤، ص٢٠٧.

بمقتل العديد من كبار الأمراء والجنود في المعارك، كذلك صيغة الرسالة كان فيها تعالٍ، واشتراط الصلح بمطالب؛ ماجعل السلطان يرفض تلك السفارة، ويأمر بإخراجه وعودته إلى مرسله. تعامل السلطان مع هذه السفارة بطريقة تبين مدى غضبه، وعدم رضاه عن تعديات شاه سوار ورغبته في استمرار الحروب ضده للقضاء عسكريًّا على حركته. أيضًا، بينت رغبة السلطان في عدم جدوى الحلول الدبلوماسية والمراوغات السياسية مع سوار. من جهة أخرى، يتضح أن معظم السفراء كانوا يتمتعون بفصاحة ومعرفة بالتخاطب مع السلاطين والرؤساء، حيث يكون اختيارهم بدقة من قبل حكامهم من أجل تنفيذ المهمة على أتم وجه.

(ج) الوفود السياسية من قبل العثمانيين:

أرسل العثمانيون أولى سفاراتهم في عهد السلطان قايتباي في محرم من عام ٨٧٥ هـ/ يوليو ١٤٧٠ م شملت أخبارًا عن فتوحات العثمانيين في أوروبا.(١) وكانت هذه السفارة تشبه إلى حد كبير سفارة حسن الطويل، والتي عبرت عن توطيد العلاقة مع السلطنة المملوكية ورؤية ردة فعل سلطان القاهرة على هذه التطورات.

السفارة الثانية من العثمانيين كانت في ذي القعدة من عام ٨٧٧ هـ/ مارس ١٤٧٣ م عندما قدم سفير بني عثمان حاملًا رسالة إلى السلطان، لم يكن مضمونها واضحًا في المصادر. المهم في هذه السفارة أن قاصد بني عثمان، وهو في طريقه إلى

(١) شملت فتوحات العثمانيين في مناطق شرق أوروبا وبخاصة حوض البحر المتوسط. ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٥٢؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٢٨؛ Muir, ***The Mameluke***, p 173 ؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص٢٧٦-٢٧٧.

مصر عن طريق البحر، صادف سفير حسن الطويل وبيده مكاتبة لملوك أوروبا يناشدهم فيها أن يتعاونوا معه ضد المماليك والعثمانيين.(١) كانت تفاصيل مخطط حسن الطويل بأن يغزو هو العثمانيين والمماليك عن طريق البر، ويدعمه الفرنج عن طريق البحر في هذه الحرب. قبض سفير بني عثمان على سفير حسن الطويل وعلى رسالته وقدم به إلى السلطان قايتباي. استضاف السلطان السفير عدة أيام وأكرمه واحتفل بقدومه، بل إنه أمر أمراءه كذلك بإكرام السفير أثناء إقامته في القاهرة.(٢) ثم أذن له بالعودة إلى بلاده بعد عدة أيام.(٣) يلاحظ هنا دور السفارات استخباريًّا في نقل تحركات القوى المجاورة، والتواصل والتعاون بين المماليك والعثمانيين، وكشف الاتصالات بين الطويل والقوى الأوروبية. وفي رد على هذه السفارة، حرص السلطان على إرسال الأمير دولات باي حمام الأشرفي إلى السلطان العثماني ليرد عليه هذه السفارة ويناقشه في التطورات الحاصلة في بلاد العراق. لاحقًا أرسل السلطان سفارة أخرى إلى السلطان العثماني في صفر من عام ٨٧٨ هـ/ يونيو ١٤٧٣ م برئاسة الأمير برسباي الشرفي وبيده هدية إلى السلطان.(٤) يبدو أن هذه السفارة كانت سفارة شكر وعرفان للسلطان العثماني على نقله أخبار تحركات حسن الطويل. امتازت سياسة قايتباي في التعامل مع السفارات الدبلوماسية بالمرونة وحسن النية والرغبة الصادقة في

(١) الصيرفي، **إنباء الهصر بأبناء العصر**، ص٤١١-٤١٢؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٦٤؛ السخاوي، **وجيز الكلام**، ج٢، ص ٨٤١.

(٢) السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٢٦٣؛ عبدالتواب، **قايتباي المحمودي**، ص١٦٢.

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٨٧.

(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٩٠.

التعاون. أيضًا أمر السلطان بالاستعراضات العسكرية أمام السفير العثماني، يروي السخاوي أن السلطان قايتباي أمر، فـــ "تصارع عدة من المماليك، ولعب آخرون بالنشاب والسيف إلى غير ذلك بحضرته (أي السفير)."[١] كان هذا العرف معمولًا به في عهد قايتباي من أجل إظهار قوة الدولة أمام الســـفراء والدول المجاورة لكي يهابوا السلطنة المملوكية.

الســـفارة الثالثة من قبل العثمانيين كانت في ربيع الآخر من عام ٨٧٩ هـــــ/ أغسطس ١٤٧٤ م عندما قدم سفير العثمانيين وبيده رسالة، وقبول شفاعة السلطان العثماني محمد الفاتح في أينال الحكيم المنفي في بلاده. قبل السلطان قايتباي الشفاعة وأكرم السفير.[٢] يلاحظ في هذه السفارة التغير في أهداف السفارات بين الطرفين، والتي كانت تصبو حول توطيد العلاقة بين البلدين إلى التدخل في الشؤون الداخلية وعلاقة الســـلطان المملوكي بأمرائه. وهذا دل على العلاقة الودية التي كانت بين المماليك والعثمانيين، والتي أتاحت للسلطان العثماني أن يتدخل ويتشفع لأحد الأمراء المماليك. أيضًا، يقرأ من رد السلطان قايتباي وإجابته بالموافقة على طلب السلطان العثماني تقديره للسفارات، وطلبات الحكام حرصًا منه على إحلال السلام والأمن بين القوى الإسلامية. استغل السلطان وجود السفير العثماني فاصطحبه معه إلى الميدان لمشـــاهدة اللعب بالرماح، واجتمع مع كبار أمرائه ومماليكه، ولعب الســـلطان

(١) السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٢٦٣.

(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٩٨؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص١٠٣.

بالرمح أمامه، وأظهر مهاراته ومهارات أمرائه بالفروسية و رمي الرمح.[١] كانت عادة السلطان أن يظهر جميع الاستعدادت العسكرية ومظاهر القوة في الدولة أمام السفراء.

السفارة الرابعة من قبل السلطان العثماني كانت في شوال من عام ٨٨١ هـ/ يناير١٤٧٧ م ولنفس السبب المذكور أعلاه، وهو الشفاعة لدولات باي النجمي الذي هرب إلى العثمانيين. أكرم السلطان وفادة السفير ووعده بقبول عودة دولات باي.[٢] كانت هذه السفارة الثانية من قبل العثمانيين للتشفع بالأمراء المماليك الهاربين من قبضة السلطان قايتباي. قبل قايتباي شفاعة السلطان العثماني في المرتين؛ نظرًا للعلاقة الودية بين الجانبين ورغبة السلطان قايتباي في عودة هؤلاء الأمراء للدولة المملوكية، وعدم استغلالهم من قبل الدول المجاورة.

السفارة الخامسة من قبل العثمانيين كانت مختلفة قليلًا عن السفارات السابقة؛ لأن الحرب بين المماليك والعثمانيين بدأت من عام ٨٩٢ هـ/ ١٤٨٨ م. أيضًا اختلفت هذه السفارة كونها لم ترسل من قبل السلطان العثماني، بل أرسلت من قبل داود باشا وزير السلطان العثماني. أرسل داود باشا سفيره إلى السلطان العثماني في شعبان من عام ٨٩٤ هـ/ يونيو ١٤٨٩ م، وكانت السفارة تتضمن طلبًا من قبل داود لأنهاء الحرب بين الطرفين وإحلال السلم من خلال حث السلطان قايتباي على المبادرة بإرسال سفير من عنده إلى السلطان العثماني لتهدئة

(١) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص١٠٤.

(٢) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص١٦٩.

الاضطرابات ويكون به الصلح.[١] رفض السلطان قايتباي هذا الاقتراح، واشترط أن يبادر بمراسلة السلطان العثماني إذا أطلق السلطان العثماني تجار المماليك الذين في أسره، وبعث بمفاتيح القلاع التي استولى عليها.[٢] السلطان قيتباي اعتقد أن سفارة داود باشا كانت حيلة من قبل السلطان العثماني لإطالة أمد الحرب واستنزاف المماليك ماليًا وعسكريًا في بلاد الشام.[٣]

اختلف رد السلطان على هذه السفارة، وكان موقفه سلبيًا نظرًا لظروف الحرب بين الدولتين. أيضًا رأى السلطان قايتباي بأن مبادرته هو بإرسال السفارة إلى العثمانيين سيعد ضعفًا من قبله، وسيساء فهمه؛ لذلك نرى قايتباي ما زال يتحلى بنوع من الدبلوماسية والمراوغة السياسية، ويترك دائمًا في مراسلاته وعلاقاته مع الدول مجالًا للصلح والسلم. كان ذلك واضحًا عندما اشترط بأن يبادر السلطان العثماني بإطلاق التجار وإرجاع القلاع إبداء لحسن النية من قبله تجاه الصلح، ولم يرفض قايتباي طلب الوزير داود جملة وتفصيلًا، بل وافق على طلبه، ولكن بالشرط المذكور أعلاه، وبذلك يستطيع قايتباي إحلال السلم وإنهاء الحرب وعدم الخروج بمظهر المهزوم في المواجهة مع العثمانيين. دلت هذه السياسة على بعد النظر لدى السلطة

(١) السخاوي، **وجيز الكلام**، ج٣، ص١٠٨٠؛ Petry, ***Twilight of Majesty***, p 53.

(٢) السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٥١٢-٥١٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٢٦٦.

(٣) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٨، ص١٥٣؛ محمد سهيل طقوش، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، بيروت: دار النفائس، ١٩٩٩م، ص٤٩٠.

المملوكية وإدراكها حجم الدول المجاورة وقوتها ورغبتها دائمًا في عدم إقفال جميع الأبواب الدبلوماسية، واختيار مجال الحرب لحل الأزمات بين الدول.

السفارة الخامسة من قبل العثمانيين تمثلت في إرسال السلطان العثماني للشيخ علي جلبي قاضي برصة في رجب من عام ٨٩٦ هـ/ مايو ١٤٩١ م. كان الغرض من السفارة رغبة السلطان العثماني في الصلح مع السلطة المملوكية، والموافقة على طلب السلطان في تسليم مفاتيح القلاع التي استولى عليها. أكرم السلطان سفارة السلطان العثماني، وأمر بإقامته والتعامل معه على أفضل وجه، وجهز لهم مكانًا للإقامة، وصرف عليهم أكثر من ألف دينار.(١) وفي بادرة حسن نيه من قبل السلطان قايتباي تجاه السلطان العثماني، أمر بإطلاق سراح الأمراء و الجنود العثمانيين الذين أسروا وسجنوا في القاهرة، وعلى رأسهم إسكندر بن ميخائيل، و رجعوا إلى بلادهم.(٢) سياسة السلطان قايتباي في التعامل بدبلوماسية في سفارة العثمانيين السابقة في شعبان من عام ٨٩٤ هـ/ يونيو ١٤٨٩ م وعدم رفض مطالب الوزير العثماني أو إهانته واشتراطه بعض الأمور لإتمام الصلح أدى إلى موافقة السلطان العثماني على شروط قايتباي، وإتمام الصلح بين الدولتين. أيضًا أكرم السلطان السفير العثماني

(١) الحمصي، **حوادث الزمان**، ج١، ص٢٢٣؛ ابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ق١، ص١١٠،١١٥،١١٦؛ السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٥٩٣؛ عبدالتواب، **قايتباي المحمودي**، ص١٧١.

(٢) علي بن يوسف بن علي بن أحمد البصروي، **تاريخ البصروي**، تحقيق: أكرم حسن العلبي، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٨م، ص١٤٠؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٢٨١-٢٨٢؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٨، ص٢٢٦؛ السخاوي، **وجيز الكلام**، ج٣، ص١١٦٦؛ طرخان، **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة**، ص١٧٣.

والأمراء العثمانيين المسجونين في القاهرة وأرجعهم إلى بلدانهم على شكل يليق دل على تقدير قاتيباي قوة العثمانيين وحجمهم، وعدم انزلاقه إلى أعمال طائشة من الممكن أن تؤدي إلى تأزم الموقف بين الدولتين.(١) وفيه يروي السخاوي "ثم طلع بالعثمانية المطلقين، وقد كساهم غير مقتصر على الذين كانوا في كفالته، وعرضوا على السلطان فشكر صنعيه، وخلع على المذكورين ونحوهما خلع السفر في أثنائه، وسافروا مكرمين محترمين."(٢) من جهة أخرى، عمد السلطان كعادته على إبهار السفارات الأجنبية بقوة مصر المملوكية وعظمتها وبما أن السفير كان قاضيًا، حرص السلطان على إظهار قيمة مصر الدينية من خلال أخذ القاضي العثماني مع الوفد المرافق له لزيارة المزارات الدينية.(٣) هذه الزيارات كانت مهمة في عيون السفراء لإبراز قوة مصر العسكرية والدينية والاقتصادية في عيون الحكام المجاورين لها.

(د) الوفود السياسية من قبل الهند:

نظرًا للمكانة الدينية والسياسية للسلطنة المملوكية في العالم الإسلامي، ومكانة الخليفة العباسي الروحية لدى جميع المسلمين، كانت مصر قد حظيت بتقدير واحترام

(١) يذكر أن السلطان قايتباي أمر بلعب الرمح مع مماليكه وأمرائه وأمر بحضور السفير العثماني لمشاهدة المناورات العسكرية. كانت هذه عادة السلطان عندما يحضر سفير خارجي لمحاولة ايصال رسالة مبطنة الى تلك الدول عن التقدم العسكري وعرض لمهارات الجنود والأمراء. الحنفي، **نيل الأمل**، ج٨، ص٢٢٧؛ ابن طولون، **مفاكهة الخلان**، ق١، ص١١٦.

(٢) السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٥٩٥.

(٣) الحمصي، **حوادث الزمان**، ج١، ص٢٢٥؛ السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٥٩٥؛ طقوش، **تاريخ المماليك في مصر و الشام**، ص٤٩٢.

حكام المسلمين، ومن ضمنهم سلطان بلاد الهند الملك غياث الدين. أرسل غياث الدين سفيرًا إلى سلطان القاهرة في جمادى الآخرة من عام ٨٧٦ هـ/ نوفمبر ١٤٧١ م، وكان مضمون الرسالة طلبه أن يقلده على ولاية إقليم الهند بعد وفاة الحاكم السابق للهند خلج الدين.(١) أيضًا أرسل هديتين الأولى للسلطان، والثانية للخليفة المستنجد بالله يوسف. أكرم السلطان هذه السفارة، وكتب الخليفة له تقليدًا لحكم إقليم الهند.(٢) دلت هذه السفارة على مكانة السلطنة المملوكية دينيًّا بوجود الخليفة العباسي في القاهرة، والذي عد الحاكم الاسمي لجميع أقاليم الدولة الإسلامية. كذلك مكانة القاهرة سياسيًّا في العالم الإسلامي من خلال طلب تقليد حاكم على إقليمه في الهند.(٣)

وفي جمادى الأولى من عام ٨٧٩ هـ/ أكتوبر ١٤٧٤ م قدم سفير من قبل ملك الهند يحمل هدية للسلطان كانت عبارة عن أسد وخيمة كبيرة. لاحقًا نصب السلطان الخيمة في خليج الزعفران، ومكث فيها ثلاثة أيام.(٤) قبول السلطان للهدايا واستخدامها وإظهار السرور للسفير دل على الحس السياسي والدبلوماسي الذي تمتع به قايتباي، ورغبته في توطيد العلاقات السياسية مع جميع القوى الإسلامية.

(١) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٢١؛ عبدالتواب، **قايتباي المحمودي**، ص١٧٤.

(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٦٥.

(٣) السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٣٦٣-٣٦٤.

(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٩٩؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص١٠٦-١٠٧.

(هـ)الوفود السياسية من قبل الحبشة:

كانت الوفود السياسية تقدم إلى القاهرة من جميع القوى المجاورة إسلامية أو غير إسلامية؛ لذلك نرى في محرم من عام ٨٨٦ هـ/ مارس ١٤٨١ م قدوم سفير من قبل ملك الحبشة الحطي الأمجري يسأل السلطان بأن يجعل البطرك في مصر، يولي نائبًا له بصفة مطران في الحبشة. أيضًا تضمنت الرسالة التوصية بالنصارى الذين بمصر والتعامل معهم معاملة حسنة.(١) كانت السفارة فحواها ديني خصوص المسيحية في مصر، وتوطيد العلاقة بين البطرك في مصر والمسيحيين في الحبشة، نظرًا للقرب الجغرافي ومكانة مصر دينيًّا، خصوصًا أن كنيسة الحبشة تتبع إلى الكنيسة المرقسية بالإسكندرية وتستورد الحبشة مطارتتها من الكنيسة في الإسكندرية.(٢) أكرم السلطان السفير، وأحسن ضيافته مع الوفد المرافق له ووافق على طلبه.(٣) دلت هذه السفارة أولًا على العلاقة الودية التي تمتعت بها مصر في عهد قايتباي مع الدول المجاورة غير الإسلامية. أيضًا دلت على تمتع المسيحيين في مصر بكامل حقوقهم من خلال واقع طلب تعيين نائب من قبلهم على بلاد بحجم الحبشة. مقابلة السلطان للسفير الحبشي، وحسن تعامله عبر عن رغبة السلطان في كسب القوى المجاورة وتوطيد العلاقات معها، وعدم رغبته في إثارة قلاقل سياسية ودينية تخص المسيحيين. ويلاحظ أن هذه السفارة كانت مختلفة عن غيرها من السفارات، حين قدم الوفد ومعه كراسي

(١) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٢٨٣؛ طرخان، **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة**، ١٦٠.

(٢) عاشور، **العصر المماليكي**، ص٢٥٤.

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٨٠؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص٢٤٥.

قدموا بها من بلادهم لكي يجلسوا عليها بحضور السلطان، ولكن تم منعهم من الجلوس على تلك الكراسي من قبل رؤوس النوب.(١) دل هذا الموقف على أن مجلس السلطان لاستقبال الوفود السياسية لم يكن عشوائيًّا، بل احتوى على تراتيب وقواعد دبلوماسية لجميع الوفود السياسية الخارجية، والتي يجب الالتزام بها، واتباعها عند مقابلة السلطان.

(و) الوفود السياسية من قبل مملكة بني الأحمر في الأندلس:

مملكة بني الأحمر في غرناطة عانت من حصار وصراع عسكري ضد قشتالة، وعاشت أيامها الأخيرة في عهد السلطان قايتباي لذلك نرى أن السلطان المنصور أبا عبدالله بن الأحمر ملك الأندلس في ذي القعدة من عام ٨٩٢ هـ/ أكتوبر ١٤٨٧ م أرسل سفيره إلى السلطان قايتباي يطلب منه أن يرسل إليه حملة عسكرية؛ لكي تعيينه على حرب الجيش القشتالي؛ رسالة السلطان أبي عبدالله جاءت في وقت حرج وبالغ الصعوبة بسبب شده حصار الجيش القشتالي على غرناطة. رد فعل السلطان قايتباي كان دبلوماسيًّا عبر عن عدم قدرته العسكرية والسياسية على إرسال جيش إلى مسافة بعيدة في ظل التوترات التي تعشيها الدولة المملوكية في بلاد الشام. لذلك نرى السلطان قايتباي لم يتجاهل رسالة السلطان الغرناطي، وأمر بأن يرسل إلى قساوسة كنيسة القيامة بالقدس؛ لكي يراسلوا لملك نابولي وإلى بابا الفاتيكان؛ لكي يخاطبوا

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٨٠

ملك قشتالة بأن يفك الحصار عن غرناطة.[١] من جهة أخرى، هدد السلطان قايتباي بالقبض على أعيان و رجال الدين في كنيسة القيامة، وكذلك منع جميع المسيحيين من زيارة كنيسة القيامة ودخولها، وهدم الكنيسة إذا لم ينفذوا طلبه بفك الحصار على غرناطة.[٢] بالإضافة إلى منع الدول الأوربية من التجارة في سواحل السلطنة المملوكية عقابًا لعدم تدخلهم لوقف حروب ملك قشتالة على المسلمين في الأندلس.[٣]

نرى لاحقًا في شعبان من عام ٨٩٣ هـ/ يوليو ١٤٨٩ م أرسل ملك قشتالة سفيرًا إلى السلطان قايتباي ومعه هدية كبيرة، حيث استقبله السلطان، وأمر بإكرامه ومكوثه في دار قريبة منه.[٤] ذكر الحنفي أن السفير قدم عن طريق البحر، وكانت سفارته تضم عدة أشخاص وتتسم بالضخامة الكبيرة.[٥] يبدو أن هذه السفارة كانت ردًا على رسالة قساوسة كنيسة القيامة لمحاولة تخفيف التوتر والقلاقل بين السلطان وكنيسة القيامة. لم تذكر المصادر فحوى رسالة ملك قشتالة.

(١) يذكر أن السلطان قايتباي استدعى قسيس قمامة من بيت المقدس في محرم من عام ٨٩٣ هـ وكلمه بأن يكتب إلى ملك قشتالة بأن يكف عن حرب أهل غرناطة ومضايقتهم. كذلك هدده بهدم كنيسة قمامة إن لم يكف ملك قشتالة عن محاربة أهالي غرناطة. الحنفي، **نيل الأمل**، ج٨، ص٩٤.

(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٢٤٤-٢٤٥؛ عبدالتواب، **قايتباي المحمودي**، ص١٧٣.

(٣) قدم سفير أخر من قبل السلطان أبي عبدالله في عام ٨٩٢ هـ لتكرار طلب العون العسكري والتحالف ضد ملك قشتالة. كان رد السلطان قايتباي مماثلًا لرده على السفارة الأولى، واكتفى بمخاطبة قساوسة كنيسة القيامة. الحنفي، **نيل الأمل**، ج٨، ص٨٥.

(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص٢٥٤.

(٥) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٨، ص١١٦.

يلاحظ من هذه السفارة أنها كانت أول سفارة من قبل الأندلس إلى السلطان قايتباي، والتي جاءت كما أشرنا سابقًا في ظروف صعبة عاشتها غرناطة. أيضًا بالرغم من بعد المسافة بين مصر والأندلس وخطورة إرسال جيش مملوكي تلبيه لنداء أمير غرناطة، نجد قايتباي كان حريصًا على تقديم يد العون والمساعدة للمسلمين في غرناطة من خلال الضغط على قساوسة كنيسة القيامة. حاول قايتباي استخدام العامل الديني ورقةً للضغط على ملوك أوربا من أجل فك الحصار على غرناطة. كان هذا الحل دبلوماسيًّا لم يكلف الدولة المملوكية خسائر مالية أو بشرية، واكتفى السلطان بالمراوغة السياسية والدبلوماسية مع كنيسة القيامة وملوك أوربا.

(ي) الوفود السياسية للمدن الإيطالية:

أولى سفارات المدن الإيطالية كانت في محرم من عام ٨٨١ هـ/ أبريل ١٤٧٦ م عندما قدم سفير من قبل ملك نابولي بسبب التجار المسلمين الذين أسرهم الفرنج. كان الغرض من السفارة تهدئة الأوضاع بين السلطة المملوكية و بلاد الفرنج؛ لاستمرار حركة التجارة والتبادل التجاري بين الطرفين.(١) اشترط السلطان قايتباي على السفير أن تحدد مدة معينة لإعادة التجار الذين أسروا في البحر من قبل الفرنج.(٢) استخدم السلطان أسلوب التهديد والوعيد مع سفير الفرنج، وحرص على تأمين التجار المسلمين وضمان عدم تكرار هذه الأفعال من قبل الفرنج. استجاب ملك نابولي

(١) السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٣٦٣؛ عبدالتواب، **قايتباي المحمودي**، ص١٧٥.

(٢) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص١٥٦.

لاحَقَ لطلب السلطان، وأرسل التجار الأسرى لديه في نفس العام.[١] لغة السلطان الشديدة مع سفارة ملك نابولي وتهديده السفير؛ نتج عنها سرعة فك أسر التجار المسلمين من أجل تفادي قطع العلاقات التجارية بين البلدين.

في ربيع أول من عام ٨٨١ هـ/ يونيو ١٤٧٦ م بعث ملك نابولي السفارة الثانية يطلب من السلطان عزل جميع نواب السلطنة المملوكية الذين يحكمون المدن الساحلية وتعيين غيرهم. يروي الحنفي أن ملك الفرنج كان مواليًا لملك قبرص، والذي كان على علاقة سيئة مع نواب السلطنة، وبسببه بعث هذه السفارة .[٢]

وفي ربيع الآخر من عام ٨٨١ هـ/ يوليو ١٤٧٦ م بعث ملك نابولي الراي ألفريدو سفيرًا إلى السلطان ومعه ابنه استفلوا. تضمنت السفارة طلبًا من قبل ملك نابولي للسلطان من أجل تعيين ابنه استفلوا ملكًا ونائبًا عن السلطان في قبرص. أكرم السلطان وفادة السفير وابن ملك نابولي وبقي استفلوا مدة سنين مقيمًا بالقاهرة حتى عاد إلى بلاده.[٣] يبدو أن السلطان رفض طلب ملك نابولي، و لكن من جهة أخرى أكرم السفارة، وتعامل معها تعاملًا لائقًا من أجل توطيد العلاقات التجارية مع نابولي.

(١) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص١٩٥؛ السخاوي، **وجيز الكلام**، ج٣، ص٩٣٩.

(٢) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص١٦١.

(٣)السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٤٣٥-٤٣٦؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص١٦١.

سادسًا: الخاتمة والنتائج:

تناول هذا البحث سياسة السلطان قايتباي في التعامل سياسيًّا ودبلوماسيًّا واقتصاديًّا مع اللاجئين السياسيين والمنفيين والسفارات السياسية في الفترة من ٨٧٢ هـ إلى ٩٠١ هـ/ ١٤٦٨ إلى ١٤٩٦ م. وبينت كيفية استفادة السلطان قايتباي من تلك السفارات واستخدامها لتقوية نفوذه السياسي في بلاد الشام، وتوطيد أواصر العلاقة الودية مع القوى المجاورة، ورفع سمعة السلطنة المملوكية في المنطقة بأكملها. كذلك أوضحت الدراسة دوافع السلطان قايتباي في استخدام السياسة الانفتاحية من أجل إحلال السلام، وحل الأزمات السياسية والعسكرية. خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة نتائج من بينها:

- استفادة السلطان ماليًّا من اللاجئين السياسيين في القاهرة من خلال الضغط على خصومهم في القوى السياسية، ودفع رشاوى من أجل إبقاء اللاجئ في القاهرة.
- كثرة قدوم اللاجئين السياسيين والمنفيين من الخارج إلى القاهرة دل على سياسة الانفتاح التي تمتع بها السلطان قايتباي.
- استفادة السلطان من استقبال المنفيين من خلال توظيف خبراتهم وجعلهم مستشارين، وإعادتهم إلى مناصبهم السابقة.
- رغبة السلطان في إرجاع المنفيين لكيلا يشكلوا خطرًا خارجيًّا من خلال استغلالهم من قبل القوى المجاورة.

- دلت الوفود السياسية في بداية عهد السلطان قايتباي لتهنئته بالسلطنة عن قوة السلطان وهيبته، ورغبة القوى المجاورة في تفادي العداوة مع السلطنة المملوكية.
- بينت الدراسة دور السفارات استخباراتيًّا في نقل المعلومات والتعاون بين القوى ونقل خططهم.
- سياسة السلطان في التعامل مع السفارات الدبلوماسية بين مرونة السلطان وحرصه على توطيد العلاقات مع القوى الأجنبية المجاورة وتقديم مبدأ حسن النية.
- استخدمت السفارات أحيانًا لرأب الصدع وإحلال السلام بعد موجة من المواجهات والصراعات العسكرية.
- بينت السفارات دورها في توطيد العلاقات داخليًّا من خلال طلبات الشفاعة للأمراء المماليك المنفيين.
- بينت أعداد اللاجئين السياسيين لدى السلطة المملوكية أن القاهرة أصبحت مكانًا آمنًا للمضطهدين السياسيين.
- أدت بعض سفارات العراق دورًا في تهدئة الأوضاع وإنهاء الأزمات بفضل دبلوماسية السلطان وذكائه في التعامل مع الوفود السياسية وإكرامهم.
- بينت الدراسة تزايد حالات اللجوء السياسي والسفارات الدبلوماسية في أوقات الحروب عن أوقات السلم.

- أظهرت الدراسة سياسة السلطان في استقبال الوفود السياسية على رغبة السلطان في إظهار قوة مصر وهيبتها من خلال إجراءات الاستعداد ومراسم استقبال السفراء.
- بينت الدراسة أن الوفود السياسية لم تقتصر على البلاد الإسلامية، بل شملت البلدان غير الإسلامية؛ ما دل على سياسة السلطان قايتباي الانفتاحية تجاه جميع الدول.
- استفاد السلطان قايتباي من سياسة الانفتاح نحو اللاجئين السياسيين؛ لجذب باقي الغاضبين من أعداء دول الجوار، وتحفيزهم للقدوم إلى القاهرة والاستفادة منهم، خصوصًا في أوقات الحروب مع العثمانيين.
- حرص السلطان قايتباي كثيرًا على استضافة جميع اللاجئين السياسيين من الدول المجاورة، خصوصًا الأمراء منهم وإكرامهم و تقريبهم من مجلسه بسبب قيمتهم السياسية والعسكرية واستفادة السلطنة استخباريًّا.
- أوضحت الدراسة، من السفارات الخارجية القادمة على القاهرة، أن معظم السفراء كانوا يتمتعون بفصاحة ومعرفة في التخاطب مع السلاطين والرؤساء، حيث يجري اختيارهم بدقة من قبل حكامهم.

قائمة المصادر والمراجع

أ– المصادر:

الحنفي، عبدالباسط بن خليل بن شاهين الملطي، **الروض الباسم في حوادث العمر و التراجم**، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، صيدا: المكتبة العصرية، ٢٠١٤م.

نيل الأمل بذيل الدول، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، صيدا: المكتبة العصرية، ٢٠٠٢م.

السخاوي، شمس الدين محمد عبدالرحمن، **الذيل التام على دول الإسلام للذهبي**، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، عمان: وزارة الثقافة، ٢٠١٠م.

وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م.

الصيرفي، علي بن داود، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢ م.

القرماني، أحمد بن يوسف، **أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ**، تحقيق: فهمي سعد، أحمد حطيط، القاهرة: علام الكتب، ١٩٩٢م.

ابن الحمصي، أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، تحقيق: عبدالعزيز فياض حرفوش، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩م.

ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، القاهرة: المكتبة العربية للمعارف، ٢٠٠٨م.

ابن طولون شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، تحقيق: خليل المنصور، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٤ م.

ب- المراجع:

الشربيني، البيومي إسماعيل، "الوفود السياسية لمصر والشام إبان حكم سلاطين المماليك: ٦٤٨-٩٣٢ هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧ م" جامعة المنصورة- كلية الآداب، عدد ٣٠، ٢٠٠٢ م.

طرخان، إبراهيم علي، **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩م.

طقوش، محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، بيروت: دار النفائس، ١٩٩٩م.

عاشور، سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، بيروت:دار النهضة العربية، ١٩٩٤م.

عبدالتواب، عبدالرحمن محمود، **قايتباي المحمودي**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.

قاسم، عبده قاسم، **الأيوبيين والمماليك التاريخ السياسي والعسكري**، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٥م.

Lane-Poole, Stanley, **A History of Egypt in the Middle Ages**, New York: Forgotten Books, 2014.

Lapidus, Ira, **Muslim Cities in the Later Middle Ages**, London: Cambridge University Press, 2009.

Muir, William, **The Mameluke; or, Slave dynasty of Egypt, 1260-1517, A. D**, London: Nabu Press, 2010.

Petry, Carl, **Twilight of Majesty: The Reigns of the Mamluk Sultans Al-Ashraf Qaytbay and Qansuh Al-Ghawri in Egypt**. Seattle: University of Washington press, 1993.

Primary Sources

al-Ḥanafī, ʻAbd al-Bāsiṭ ibn Khalīl, **al-Rawḍ al-bāsim fi Ḥawādith al-ʻumr wa al-tarājim**, Sidon: al-Maktabah al-ʻAṣrīyah, 2014.

Nayl al-amal fī dhayl al-duwal, Sidon: al-Maktabah al-ʻAṣrīyah, 2002.

al-Sakhāwī, Muḥammad ibn ʻAbd al-Raḥmān, **al-dhayl ʻalá Duwal al-Islām**, Beirut: Mu'assasat al-Risālah, 1995.

al-Ḍaw' al-lāmiʻ li-ahl al-qarn al-sābiʻ, ʻAmmān: Wizārat al-Thaqāfah, 2010.

al-Ṣayrafī, li-ʻAlī ibn Dāwūd, **Inbā' al-haṣr bi-abnā' al-ʻaṣr**, Cairo: al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Kitāb, 2002.

al-Qaramānī, Aḥmad ibn Yūsuf, **Akhbār al-duwal wa-āthār al-uwal fī al-tārīkh**, Beirut: ʻĀlam al-Kutub, 1992.

Ibn al-Ḥimṣī, Aḥmad ibn Muḥammad, **Ḥawādith al-zamān wa-wafīyāt al-shuyūkh wa-al-aqrān**, Beirut: Al-Maktabah al-ʻAṣrīyah, 1999.

Ibn Iyās, Muḥammad al-Ḥanafi, **Badā'iʻ al-zuhūr fī waqā'iʻ al-duhūr**, al-Cairo: al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Kitāb, 1975.

Ibn Taghrībirdī, Abū al-Maḥāsin Yūsuf, **al-Nujūm al-zāhirah fī mulūk Miṣr wa-al-Qāhirah**, Cairo: al-Maktab al-ʻArabī lil-Maʻārif, 2008.

Ibn Ṭūlūn, Shams al-Dīn Muḥammad ʻAlī, **Mufākahat al-Khillān fī ḥawādith al-zamān**, Cairo: al-Mu'assasah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Ta'līf wa-al-Tarjamah wa-al-Ṭibāʻah wa-al-Nashr, 1964.

Secondary Sources

al-Shirbīnī, al-Bayyūmī Ismāʻīl, "al-wufūd al-siyāsīyah li Miṣr wa-al-Shām Aban ḥukm salāṭīn al-mamālīk" Jāmiʻat al-Manṣūrah, Kullīyat al-ādāb, vol 30, 2002.

Ṭarkhān, Ibrāhīm Àlī, **Miṣr fī ʻaṣr dawlat al-mamālik al-Charākisah, 1382-1517**, Cairo: Maktabat al-Nahḍah al-Miṣrīyah, 1959.

Ṭaqqūsh, Muḥammad Suhayl, **Tārīkh al-Mamālīk fī Miṣr wa-Bilād al-Shām, 648-923 H/1250-1517 M**, Beirut: Dār al-Nafā'is, 1999.

ʿĀshūr, Saʿīd ʿAbd al-Fattāḥ, **ʿAṣr al-Mamālīk fī Miṣr wa-al-Shām**, Beirut: Dār al-Nahḍah al-ʿArabīyah, 1994.

ʿAbd al-Tawab, ʿAbd al-Raḥman, **Qāyitbāy al-Maḥmūdī**, Cairo: al-Hayʾah al-Miṣrīyah al-ʿĀmmah lil-kitāb, 1978.

Qāsim, ʿAbduh Qāsim, **al-Ayyūbīyūn wa-al-Mamālīk: al-tārīkh al-siyāsī wa-al-ʿaskarī**, Cairo: ʿAyn lil-Dirāsāt wa-al-Buḥūth al-Insānīyah wa-al-Ijtimāʿīyah, 1995.

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Journal of
Educational and Social Sciences

Dhul Hijjah 1441 Hijri / July2020

No. 2